

- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية -
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي -

- جامعة الحاج لخضر- باتنة-
- كلية الآداب واللغات
- قسم اللغة العربية وآدابها

آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء نموذجاً) دراسة حجاجية

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في اللسانيات العامة

إشراف الدكتور:

محمد بوعمامة

إعداد الطالب:

هشام بلخير

السنة الجامعية: 1432هـ/1433هـ - 2011/2012 م

- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية -
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي -

- جامعة الحاج لخضر- باتنة-
- كلية الآداب واللغات
- قسم اللغة العربية وآدابها

آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء نموذجا)

دراسة حجاجية

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في اللسانيات العامة

إعداد الطالب: هشام بلخير
إشراف الدكتور: محمد بوعمامة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	مؤسسة العم	الصفة
د. عز الدين صحراوي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	رئيسا
د. محمد بوعمامة	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
د. الجودي مرداسي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
د. خليفة بوجادي	أستاذ محاضر	جامعة سطيف	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1432هـ/1433هـ - 2011/2012 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

چچ پچ پچ پچ پچ پچ

ماژ گچ

[یوسف: 108]

تمهيد:

تميّز الدرس اللساني الحديث بمرحلتين هامتين: **المرحلة البنيوية** والتي تبدأ بظهور كتاب "محاضرات في علم اللغة العام" (1916م) لفردينان دي سوسير (F.de saussure) حيث تعمل اللسانيات على دراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها، فتدرس نسق اللغة في علاقاته الترابطية (syntagmatique) والاسـتبدالية (paradigmatique) ويمعزل عن الخارج - لساني (Extra-lingue)، بالإضافة إلى الثنائيات المعروفة عند دي سوسير.

والمرحلة الثنائية جاءت نتيجة لعجز¹ البنيوية بشتى اتجاهاتها عن تلبية طموحات اللسانيات، وهي مرحلة لسانيات الخطاب وإن لم تهمل نسق اللغة، إلا أنها ركّزت اهتمامها على الخارج- لساني أي بمحيط التواصل².

باعت التداولية (La Pragmatique) ضمن هذا السياق لتركّز على التوجّه الاتصالي والوظيفي، فعدت اللغة جهازا نفعيا يحقّق الوظيفة التواصلية استنادا إلى عناصر متشابكة من بنية النص ومن خارجها.

أولا: كمصطلح

1. التداولية (la pragmatique) لغة:

إن المتتبع لمسار هذه الكلمة حسب ما ذكره الباحثون في المعاجم العربية القديمة منها والحديثة، لا يجد لها أثرا، إلا ما ترجم عن المصطلح الفرنسي Pragmatique أو الإنجليزي Pragmatics فلها ارتباطات

¹ هناك من يتساءل: هل تعد مرحلة ما بعد البنيوية ثورة على البنيوية أم امتداد لها ؟
² ك. أوركينيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف. ص ص 5-6.

بالإغريقية (Pragmaticos) واللاتينية (Pragmaticus) والتي يعود استعمالها حسب أغلب الدراسات إلى عام 1440م¹ ومبناها على الجذر ((Pragma)) ومعناها الفعل (Action)². ومدلولها في الثقافتين الفرنسية والإنجليزية يعني " عملي". وتقترن بهذا المصطلح المعاني الآتية: " مادي " " محسوس" و " ملائم للحقيقة"³، وفي الإنجليزية كلمة Pragmatic تعني - غالباً - " ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية"⁴ و " الأحداث الواقعية"⁵.

أما ما وجد في المعاجم العربية فهو مادة " : " والتي تتفق أغلب المعاجم على أنها تعني **العُقبَة والدوران**، فقالوا : تكون العُقبَة في المال والحرب، وهو أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدُّولة في الحرب والدُّولة في المال. ودالت الأيام أي دارت⁶.

ومن معاني التداول ما تأخذه الأيدي هذه مرّة وتلك أخرى، ولا يقتصر الأمر عليها، وإنما ينتقل إلى الأمر المناقش بين الناس وبحث جوانبه. وفي نطاق اللغة الملفوظة في فلك النقل والدوران والحركة، فيكون **تداول الكلام** جامعاً لمعنيي **التواصل والتفاعل**. فمقتضى التداول أن يكون القول موصولاً بالفعل. ويتمظهر **التواصل** في مدلول النقل والدوران، في استخدامهما اللغوي بين الناطقين، ويتمظهر **التفاعل** في مدلول النقل والدوران، في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين⁷.

¹ نوارى سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي؛ المبادئ والإجراء. ص 18 في: Maxi dico, dictionnaire encyclopédique de la langue française, édition de la connaissance, 1997, p876. حسب السعيد بوطاجين فإن كلمة Pragmatique بصيغتها المتداولية حالياً، عُرفت في القرن الخامس عشر الميلادي. ينظر السعيد بوطاجين: الترجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد. ص 145.

² نوارى سعودي أبو زيد. مرجع سابق. ص 18 في: Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire, édition Nathan université, Paris, 2001, p4.

³ فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ص 17. ينظر كذلك: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم؛ من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه. ص 16.

⁴ فيليب بلانشيه. مرجع سابق. ص 17.

⁵ سامية الدريدي. مرجع سابق. ص 16.

⁶ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب. مادة (دول).

⁷ طه عبد الرحمن. تجديد المنهج في تقويم التراث. ص 244. بتصريف.

2. التداولية (la pragmatique) اصطلاحاً:

عَدَّت التداولية " ماتقى لمصادر أفكار وتأمّلات مختلفة يصعب
□ صرّها "1" مما أدى إلى تعدّد تعريفاتها " وإن انصبت كلّها في معالجة
العلاقة بين المتكلمين والسّياق الذي يجري فيه الكلام "2. ويكمن هذا
التعدّد في " اختلاف تصوّر وإدراك السّياق "3.

وينسب الكثير من الباحثين أوّل استعمال لمصطلح التداولية
(Pragmatique)، في الثقافة الغربية، إلى الفيلسوف الأمريكي شارل
موريس (Charles Morris) وذلك سنة 1938م⁴. حين حاول تحديد الإطار
الإطار العام للسميائيات، حيث ميّز بين ثلاثة مكوّنات؛ المكوّن التركيبي،
المكوّن الدلالي، و المكوّن التداولي، والتداولية كمكوّن، انبثق عن التقسيم
الثلاثي لشارل موريس التي " تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة
ومستعملها واستعمالها وآثارها "5، من حيث معناها الضيق، تطلق إذن
على " التخصص أو التخصصات التي تعنى بالمكوّن التداولي "6.

وفيما يلي بعض تعريفات التداولية:

- **التعريف الأوّ:** التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، أو

دراسة الاستعمال اللغوي⁷.

- **التعريف الثاني:** أو هي " دراسة الاتصال اللغوي في السّياق "8.

¹ خُليّة بوجادي: في اللسانيات التداولية؛ مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. ص 63. في: Dominique Maingueneau, Les termes clé de l'analyse du discours, p65.

² عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. ص 8 في: C.K. ORECCHIONI (1980): Enonciation de la subjectivite dans le langage, Armand Colin, Paris, p185.

³ عمر بلخير. مرجع سابق. ص 8.

⁴ محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه. ص 48.

⁵ دومينيك مانغونوا ومصطلحات الم. اتيح في تحليل الخطاب. ص 101.

⁶ المرجع نفسه لظهير سها.

⁷ محمد الأخضر الصبيحي. مرجع سابق. ص ص 48-49.

⁸ عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ مقارنة لغوية تداولية. ص 22.

- **التعريف الثالث:** هي " مجموعة البحوث اللسانية المنطقية التي تهتم بدراسة استعمالات الكلام وتبحث في مطابقة الأشكال الدالة للسياقات المرجعية"¹.
- **التعريف الرابع:** هي " دراسة استعمالات الكلام كظاهرة استدلالية وتداولية واجتماعية في الوقت ذاته"².
- **التعريف الخامس:** هي " نظام لساني فرعي يهتم تحديدا باستعمال الكلام في التواصل "³.
- **التعريف السادس:** هي " نسق معرفي استدلالي يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية "⁴.
- **التعريف السابع:** " مجموع النظريات التي تدرس كيفية استعمال الناطقين للغة في حالات الخطاب الملموسة "⁵.
- **التعريف الثامن:** هي ذلك " المكوّن الذي يعالج وصف معنى الملفوظات في سياقها "⁶.

تأتي هذه التعريفات، في مجملها، لتمييز الدراسة التداولية للغة عن الدراسة البنيوية والتي تهتم باللغة كنظام ونسق يدرس داخلها، ثم دور عناصر العملية التواصلية ممثلة في المتكلم والمخاطب والخطاب. ف فيما يتعلّق بالمتكلم ينبغي معرفة " كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله⁷... [و] كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في

¹ سامية الدريدي. مرجع سابق. ص 16.

² المرجع ن الخطبة ن سها.

³ المرجع ن الخطبة ن سها.

⁴ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني

العربي. ص 25.

⁵ حليمة بوجادي. مرجع سابق. ص 85.

⁶ دومينيك مانغونو. مرجع سابق. ص 100.

⁷ عبد الهادي بن ظافر الشهري. مرجع سابق. ص 22.

ضوء عناصر السياق. وفيما يتعلّق بالمخاطب يتفاعل مع خطاب المتكلّم " بما يكفل له ضمان التوفيق عند تأويل قصده وتحقيق هدفه¹. وفيما يتعلّق بالخطاب " تحديد مراجع الألفاظ، وأثرها في الخطاب، ومنها الإشارات " ودور المتكلّم والمخاطب في تكوين الخطاب، ومعناه وقوته الإنجازية². وباختصار اهتمت التداولية بما يجري عند التبادل بالفعل بين المتكلمين تلك هي مهمة التداولية بكل تياراتها³.

ويظهر التداخل بين اللسانيات والمنطق في تحديد مفهوم التداولية في التعريف الثالث؛ إذ تتداخل هذه البحوث (اللسانية والمنطقية) في دراسة الكلام (كفعل فردي محدد) " صادر من متكلّم محدد، وموجّه إلى مخاطب محدد بلفظ محدد لتحقيق غرض تواصلية محدد⁴.

ورغم اختلاف تعريفات التداولية، نتيجة لتعدد الرؤى والتخصصات التي تؤثر فيها، ولكنها تقرّ في مجملها بأن دور التداولية يكمن في تحليل الكلام أثناء استعماله في سياق حقيقي ملموس، وأن لهذا التحليل أبعادا استدلالية منطقية، وتداولية لسانية، واجتماعية.

وباختصار فإن التداولية هي " علم استعمال اللغة " (Language in use)) هي أي البحث عن " القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، ومعرفة القدرات الإنسانية⁵ للتواصل اللغوي⁶. أي أن التداولية تتعامل مع اللغة في بعدها التخاطبي-التواصلية.

أمّا على مستوى وضع وتداول مصطلح التداولية في الدرس اللساني العربي الحديث فيعود الفضل إلى الباحث المغربي طه عبد

المرجع ن للعبارة ن سها.

المرجع ن للعبارة ن سها.

³ خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات. ص 175.

⁴ مسعود صحراوي. مرجع سابق. ص 25.

⁵ للناطقين س اللغة.

⁶ مسعود صحراوي. مرجع سابق. ص 25.

الرحمن الذي يعدُّ أوَّل من سكَ مصطلح "التداولية" أو "التداوليات" حيث قال: "ومن جملة ما فعلتُ أني وضعت مصطلحات كثيرة تبناها زملائي عن رضى وعن اقتناع علمي، منها المصطلح الذي نتداوله اليوم وهو التداول، فإنني وضعت هذا المصطلح منذ سنة 1970م، في مقابل Pragmatique ولو أن التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضّلوها على لفظة Pragmatisme، لسبب واحد، وهو أنها لا تقي بالمقصود من علم التداول؛ فلفظة التداول تقيّد في العلم الحديث الممارسة [...] تقيّد تماما الممارسة وهي مقابل المصطلح التاريخي، وتقيّد أيضا التفاعل في التخاطب - في عملية الخطاب تقيّد التفاعل - ثم بالإضافة على ذلك إنها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها، يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة، فإن هذا هو التبرير العلمي الأول لمصطلح التداول"¹

واقترح طه عبد الرحمن لـ "مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا"، لأنه يفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيي "الاستعمال" و "التفاعل" معا"² وضعه بصيغة الجمع - فيما نظن - لتعدد حقول التداولية ومجالاتها.

ونجد في حقل المصطلح اللساني العربي المعاصر، فوضى في ترجمة واستعمال المصطلحات اللسانية، نذكر منها، مصطلح Pragmatique أو Pragmatics؛ إذ، ورغم الإقرار بصعوبة تعريف هذا المصطلح في اللغة التي نشأ فيها، إلا أن ترجمته في العربية، لم تستطع تجاوز هذه الصعوبة، بل وأغرقتة في ترجمات صعبت من مهمة فهمه؛ فنجد ترجمات وتعريفات لهذا المصطلح من قبيل، البراغماتية أو البراجماتية

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري. مرجع سابق. ص 574. في : طه عبد الرحمن: الدلالات والتداوليات (أشكال وحدود). كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب. الطبعة الأولى، 1405هـ/1984م. ص 299.

² طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص 28.

أو النفعية، البراغماتيقا، التداوليات، التداولية، علم التداول، علم المقاصد، السياقية، المقامية، الإفعالية، علم التخاطب... وهذا ما أضرّ بالدرس اللساني العربي المعاصر؛ إذ يفترض بالباحثين في الحقل اللساني العربي، أن يتفوقوا على إشاعة واستعمال مصطلح واحد.

ثانياً: أسباب ظهورها

هناك مجموعة من الأسباب تقف وراء ظهور التداولية والاهتمام بها

نذكر منها ما يلي:

1- اتجه البحث إلى التداولية، لأنها تتمتع بتعدد الرؤى والأفكار ونتيجة لقصور الدراسات اللسانية الشكلية السابقة وعدم تلبيتها لطموحات اللسانيات فتجاوزت التداولية الدرس اللساني من دي سوسير (De Saussure) إلى تشومسكي (Chomsky)) لأنها أهملت في مقارنتها للغة الجانب الحقيقي فيها وهو الاستعمال.

2- والسبب الآخر هو التوصل إلى قناعة مفادها أن المقاربة النحوية والمقاربة الدلالية لم تستطيعا لوحدهما التعامل مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة؛ كمشاكل المعنى ومشاكل الحقيقة، ويمكن اعتبار الإدراك المتزايد بوجود وة بين النظريات اللسانية من جهة ودراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى سبباً آخر في الاهتمام بالتداولية.

ثالثاً: أهم قضاياها

التداولية هي نتاج تشابك العديد من التيارات التي تشترك في عدد من أمهات الأفكار، وبخاصة¹:

- سيميائيات بيرس.
- نظرية أفعال الكلام (أوستين وسيرل).

¹ دومينيك مانغونو. مرجع سابق. ص 102.

- دراسة الاستنباطات التي يقوم بها المشاركون في التفاعل (غرايس).
- الأبحاث حول التفنن اللغوي التي تنامت في أوروبا مع بالي، ياكسون، بنفينيست، كولبولي...
- الأبحاث حول المحاجة [أو الحجاج].
- دراسة التفاعل اللغوي.
- بعض نظريات التبليغ / الاتصال كنظرية بالو آلتو.

لذا فقضاياها كثيرة ومتنوعة، وترجع هذه الكثرة وهذا التنوع إلى اعتبارات منها: اتساع مجالها، تعدد بيئتها نشأتها¹، وتشابك العديد من التيارات في أفكارها...، وسنكتفي بذكر اثنتين منها تعدد الأهم من بين قضاياها الكثيرة، وهي: أفعال الكلام، الحجاج.

1. أفعال الكلام:

تدخل هذه النظرية ضمن الدرس التداولي في درجته الثالثة² وأحد أهم المحاور فيه³. و تقوم على مبدأ أن " الاستعمال اللغوي ليس هدفه إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه"⁴. وأن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية⁵. وأن الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة⁶.

وقد وضع أصول هذه النظرية الفيلسوف أوستين (Austin) 4 أقام بناءها سي (Searle)، ووسّع مجالها غرايس (Grice) وفان إيميرن (Van Emeren) وغروتندورست (Grootendorst).

¹ حليمة بوجادي. مرجع سابق. ص 86.

² عمر بلخير. مرجع سابق. ص 13.

³ محمد سالم ولد محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة؛ بحث في بلاغة النقد المعاصر. ص 181.

⁴ حليمة بوجادي. مرجع سابق. ص 89. في: فان ديك. علم النص. ص 18.

⁵ عمر بلخير. مرجع سابق. ص 13.

⁶ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 260.

وقد شهدت هذه النظرية أطوارا ثلاثة أساسية¹:

- تمييز مستويات مختلفة في الفعل اللغوي.

- وضع شروط محدّدة للفعل اللغوي

- وضع قواعد خطابية للفعل اللغوي.

2. الحجاج:

ما يهتمنا في هذا العنصر هو إبراز علاقة التداولية بالحجاج، إنّه باب رئيسي فيها² وأحد أركانها³ يعدّ مجالا غنيّا من مجالاتها " يشترك مع العديد من العلوم الأخرى"⁴. على الرغم من انبثاقه من تيارين: تيار " المنطق والبلاغة الفلسفية"، تحت مسمّى (الفلسفة اللغوية)، وتيار " ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب"⁵. والخطاب والخطاب الحجاجي شأن التداولية؛ إذ نجده " يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد شروط القول والتلقي...[و] تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير⁶ والفعالية] ومن ثمّ، قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة"⁷. وقد أخذ الحجاج في اعتبار الدراسات التداولية في السنوات الثمانين من القرن العشرين؛ إذ يجمع ون بليز غرايز (J.B.Grize) بين المنطق والحجاج، أما روبيير مارتان (R.Martin) فيدمج مفهوم ممكن الوقوع في نظريته الدلالية، وقد

¹ المراجع ن للطبعة ن سها.

² صابر الحباشة: التداولية والحجاج؛ مدخل ونصوص. ص 7.

³ المراجع ن سها. ص 15.

⁴ خليّة بوجادي. مرجع سابق. ص ص 87-88. في: D.Maigneueau : l'analyse du discours, p228.

⁵ صابر الحباشة. مرجع سابق. ص 7. في: محمد صلاح الدين الشريف: الشرط والإنشاء النحوي للكون. الجزء الأول. ص 211.

⁶ أي حدة الكلام على التأثير على العالم، كالتأثير على الغير مثلا. وتشهد على ذلك الأشكال الضميمة للحجاج، فبدلا من من تأكيد فكرة ما في صلب الحوار، يمكننا افتراضه لـ ا بالتحويل على تأويل مستمعينا. ينظر: إيف جانري: "نظرية المحاجة؛ ا تشاف جديد خصب"، ترجمة محمد يحياتن. ص 286.

⁷ حبيب أعراب الحجاج والا تدلال الحجاجي؛ عناصر ا نقصاء نظري". ص 101.

عاد أوزفالد ديكنرو أخيراً إلى مفهوم المواضيع لوضع آليات اللغة الحجاجية¹.

ويتمظهر البعد التداولي في الخطاب الحجاجي في مستويات عدة منها: مستوى أفعال الكلام² مستوى السياق³ المستوى الحوارى أو التحواري. وتنتظر بعض الاتجاهات التداولية إلى المستوى الحوارى على أنه أساس الحجاج. وتعتقد بعض الأطروحات أن الحجاج كامن في "بنية اللغة" وليست صفة عرضية لبعض الخطابات⁴. كما تتولى التداولية وصف وصف بعض الأشكال الأخرى الدقيقة للمحاجة⁵.

ولا يخفى على أحد أن التداولية تعتمد على مقومات حجاجية تبرز بشكل واضح اختلاف الحجاج وتمييزه عن البرهان أو الاستدلال؛ إذ يميّز بين الدلالة الحرفية والمفهوم، في بعدين: بعد اجتماعي⁶، وبعد جدلي⁷ منطقي، ففي الثاني يهدف إلى الإقناع، وفي الأول "يعتمد على المساهمة الجماعية [للمتكلمين] لتحقيق أغراض معيّنة"⁸. دون أن نغفل بعده اللساني. رغم أنه "لم يثر اهتمام اللسانيين إلا مع تطور التداولية على الرغم من أنه يشكّل جزءاً مهماً في حياتنا اليومية".

¹ صابر الحباشنة. مرجع سابق. ص 16.
² هناك الأفعال العرضية والتي تستعمل، حسب أوستين، "لعرض مفاهيم بظمووع، وتوحيح تعاملات و سبطراج. مثال ذلك أَدَاءُ مر، أجاب، اعترض، وهب، مثل فَر، ونقل أقوالاً". ينظر: فرانسواز أرمندو حوارية التداولية، ترجمة سعيد عل وش. ص 62.
³ هناك أدوات وتعابير وصيغ ي السمّة الحجاجية على تخاطب ما، مما يجعل الحجاج يكون ضمناً أو صريحاً. هكذا، "نجد تعابير إنجازية موجهة إلى ربط قول ما بباقي الخطاب بل بالسياق المحيط من هنا نعثر على أجيب، وأ تنبؤاً تخلص، وأعترض.. وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة وأحياناً بالأقوال اللاحقة...". ينظر: فرانسواز أرمندو. مرجع سابق. ص 65.
⁴ حبيب أعراب. مرجع سابق. ص 102-103.
⁵ بيّن أ.برندونير A.Berrendonner أن إثبات ضحية ما د يكتسي أشكالاً عديدة: 1- الذاتية: اعتقد أن فرنسا في أزمة، 2- الرأي: نعرف جيداً أن فرنسا في أزمة. 3- الكونية: فرنسا في أزمة. ينظر: حبيب أعراب. مرجع سابق. ص 103.
⁶ فهو ظاهرة اجتماعية ثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق. والتواصل - في الخطاب الحجاجي - لا يتم من أجل لاشيء، لاشيء، بل يأتي لربطها مع الآخر، بهدف التأثير فيه وعليه، أو عللاً للاتفاق معه...
⁷ قوة الحجّة هو يحدد الإطار بها على عكس البرهان، الذي يهتم بترتيب الحقائق. فالحجاج يتوجّه إلى المعتقدات من أجل تغييرها أو التأثير فيها، فيسعى إلى ترتيب القيم التي لها علاقة مع كل ما هو ممكن ومحيد. ينظر: عبد السلام عشرين. مرجع سابق. ص 126.
⁸ حسان الباهليجية والمنطق؛ بحث في المنطق. ص 139.
⁹ عبد السلام عشرين. مرجع سابق. ص 126.

وتتعدّد نظريات الحجاج تبعا للعلاقة الرابطة بينه وبين التداولية؛ إذ نجد ثلاثة اتجاهات رئيسة لدراسة الحجاج في البحوث التداولية؛ اتجاه منطقي، اتجاه لساني واتجاه محادثي تحاوري¹.

¹ صابر الحباشة. مرجع سابق. ص 16-19.

مقدّمة:

لئن أشبع الباحثون، على اختلاف مقارباتهم وتباين نتائجهم، التراث العربي الإسلامي بحثاً في عصرنا الحالي. إلا أن مركز وروح هذا التراث الضخم لم ينل حقه من الدراسة وبقي مادة بكرة تُتهَيَّب ويخشى منها وهو القرآن الكريم؛ لاتصاله بدائرة التحريم والمنع. واحتكاره من طرف فئة من العلماء والعارفين من جهة. وإن كان له نصيب فهو قليل بالمقارنة مع ما يستحقه؛ وذلك لتمنّع بعض من الباحثين عن الاشتغال عليه لتداخل صفتين فيه؛ مصدرية الإلهية بشرية لغته.

إلا أن تنامي الدراسات والبحوث المتمحورة حول الخطاب وجدّية النتائج التي توصلت إليها ساهمت في تناول كافة الخطابات بالدراسة من ضمنها الخطاب القرآني. ولعل الدراسات الحجاجية بمختلف نظرياتها الغربية من بين هذه البحوث التي اتّخذت من النصوص والخطابات بأنواعها مجالاً لاختبار أدواتها وعدّتها الإجرائية، وبخاصة في مجال الحجاج والإقناع والدعاية والإشهار.

ويعدُّ الإقناع، وهو مقصد أساسي، في الخطابات نواة البحث الحجاجي والقلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية، وفي صيغتها العربية القديمة) والبلاغة الجديدة (نظرية الحجاج).

نعرض في هذا البحث لجملة من التساؤلات: ما الإقناع؟ وكيف تمّ تحصيله في الخطاب القرآني؟ أي بعبارة أخرى ما هي إستراتيجية القرآن الإقناعية؟ وما هي الآليات التي يتوسّل بها للوصول إلى تحقيق الاقتناع بهذا الخطاب؟ أي كيف يمكن توجيه المعاني القرآنية توجيهها إقناعيا؟ وكيف يمكن إثبات صحة دعوى الخطاب القرآني عن نفسه؟

(1) وقد اخترت الإقناع، وفق المقاربة الحاجية، موضوعا للدراسة بسبب جدّته في الدراسات العربية المعاصرة في جانبها النظري، ومحدودية الدراسات التطبيقية في مجال تحليل الخطاب القرآني حسب علمي، فلا نكاد نعثر إلا على القليل من الدراسات في هذا الحقل، من ذلك كتاب (بلاغة الخطاب الإقناعي) لمحمد العمري، و(نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) تحت إشراف حمّادي صمّود، و(البلاغة والاتصال) لجميل عبد المجيد، وبعض المقالات أهمها الحجاج مفهومه ومجالاته من إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، في أربعة أجزاء وكلّها دراسات نظرية، أما الدراسات التطبيقية فنذكر منها كتاب (الحجاج في القرآن الكريم) لعبد الله صولة، وكتاب (استراتيجيات الخطاب؛ مقارنة لغوية تداولية) لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب (الخطاب والحجاج) للدكتور أبو بكر العزاوي، والذي تناول في فصله الأول تحليلا حجاجيا (مقتضبا) لسورة "الأعلى" وبعض المقالات التطبيقية أهمها: الحجاج مفهومه ومجالاته من إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، الجزء الرابع: الحجاج والمراس.

أما أهداف البحث فتحصر فيما يلي:



- الكشف عن آليات الإقناع في الخطاب القرآني.
 - الرغبة في تحصيل الإقناع في الخطاب القرآني بتوظيف آليات الحجاج اللغوية، البلاغية وشبه المنطقية.
 - الرغبة في توظيف الآليات الإقناعية في وضع حد للمواجهة بين الأفراد والجماعات والأمم.
 - التوصل إلى معرفة مدى قدرة النظريات الحديثة في التحليل اللساني (نظرية الحجاج) على التعامل مع الخطاب القرآني.
- وأما موضوع البحث، فقد قسّمته إلى مدخل تمهيدي، وفصلين، نظري وتطبيقي، وخاتمة دبّجتها بأهم النتائج المتوصّل إليها.

المدخل معنون بالتداولية والحجاج، وهما مفتاحا الموضوع، التداولية باعتبارها محضن الحجاج، وهذا الأخير أحد أركانها وباب رئيسي فيها. مكتفيا في هذا المدخل بالتعريف بمصطلح التداولية، وذكر أهم أسباب قيامها، وحصر أهم قضاياها في قضيتين لهما العلاقة الوثيقة بموضوع البحث وهما أفعال الكلام والحجاج.

وأما الفصل النظري، فيجمع بين مصطلحين كبيرين هما الإقناع والخطاب القرآني؛ فكان المبحث الأول للإقناع فتناول البحث مفهوم الإقناع لغة في المعاجم العربية والأجنبية، ثم اصطلاحا في الثقافتين الغربية والعربية الإسلامية قديما وحديثا. لينتقل البحث إلى عنصر آخر يبيّن فيه علاقة الإقناع بجملة من المصطلحات التي تتداخل معه في بعض المفاهيم والجزئيات. ولكنها لا تصل إلى درجة التطابق من قبيل: الاقتناع: التأثير، الإذعان، التصديق والتواصل موضّحا هذه العلاقة في جدول في نهاية كل مقارنة. ثم ينتقل البحث إلى ربط الاتصال بين الإقناع وآليته اللغوية وهي

الحجاج، ثم تناولت بالتعريف الحجاج المغالط أو التطويع كانحراف في مسار عملية الحجاج في بعض الأحيان، وفي ختام المبحث الأول يستعرض البحث أهم اتجاهات نظرية الحجاج عند الغربيين في الدرس الحديث والمعاصر (البلاغة الجديدة عند برلمان، الحجاج في ثنايا اللغة لأوزفالد ديكر، الحجاج في ثنايا التواصل لفيليب بروتون، ونظرية المساءلة عند ميشال مايير).

المبحث الثاني، تناولت فيه المصطلح الثاني الخطاب القرآني، ممهّداً له بالتعريف بالخطاب وعلاقته بالنص، ثم التعريف ببنية الخطاب الإقناعي وبعدها التعريف بالخطاب القرآني وخصائصه الفريدة وأهدافه التي تتقاطع مع الدرس الحجاجي الحديث. ثم تحديد مقوّمات الخطاب القرآني الإقناعية. ويختم المبحث والفصل النظري بتفصيل لقواعد التخاطب المحققة لنجاح ونجاعة أي خطاب؛ مبدأ التعاون الغرايسي ومبدأ التأدب عند لاكوف ومبدأ التواجه واعتبار العمل لبراون وليفنسن ومبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقرب الليتشي، وأخيراً مبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص. البديل في الثقافة العربية الإسلامية.

وأما الفصل التطبيقي، فيجمع بين آليات ثلاث تتضافر كلها من أجل تحقيق الإقناع في سورة الشعراء مدوّنة البحث. آليات لغوية صرفة تجمع جملة من العناصر، ألفاظ التعليل، الوصف، أفعال الكلام، الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية. ثم آليات بلاغية تجمع عناوين ثلاثة، التشبيه والاستعارة والبديع وتحت هذا العنصر يتضافر التكرار والمقابلة والطباق لتحقيق نظرة جديدة تعطي القيمة الحجاجية لهذه العناصر. وأخيراً، آليات

شبه منطقية، وهي آلية واحدة متمثلة في القياس الخطابي تمييزاً له عن القياس المنطقي الأرسطي.

وأخيراً، خاتمة تضمّنت ما توصل إليه البحث من نتائج.

أما المنهج المعتمد فهو المنهج الوصفي التحليلي، لأنّه الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف الظواهر الحجاجية في الخطاب القرآني وتحليل الشواهد والأمثلة وفق العدة الإجرائية لنظرية الحجاج.

أما مصادر البحث، فهي مصدر وحيد هو القرآن الكريم، وأما المراجع فهي عديدة، سأكتفي بذكر الأهم منها، التفاسير: تفسير التحرير والتتوير لمحمد الطاهر بن عاشور، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي] وبدرجة أقل: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي وفي ظلال القرآن لسيد قطب. أما المراجع الأخرى؛ الحجاج في القرآن لعبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج من أرسطو على اليوم بإشراف حمادي صمود، اللغة والحجاج و الخطاب والحجاج. لأبي بكر العزاوي النص والخطاب والاتصال لمحمد العبد. البلاغة والاتصال لجميل عبد المجيد. التداولية والحجاج لصابر الحباشة. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، وبدرجة أقل تجديد المنهج في تقويم التراث لطفه عبد الرحمن. ومقالات الحجاج؛ ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته من إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي.

وقبل الختام، أتمنى أن يحقق هذا البحث مراده، ويضيف لبنة من لبنات البحث العلمي في مجال الدراسات اللسانية المعاصرة والتي تعنى بالنصوص التراثية، لعلها تكوّن نظرتين، نظرة فاحصة للماضي ونظرة مبدعة للمستقبل.

وأوجّه الشكر الجزيل وامتناني الخالص لأستاذي المشرف الدكتور
محمد بوعمامة الذي كان له الفضل الكبير في التوجّه إلى هذا النوع من
البحوث والدراسات.

المبحث الأول: الإقناع، مفهومه وعلاقته بالحجاج

1- مفهوم الإقناع:

أ- الإقناع (Persuasion) لغة:

- في المعاجم العربية:

تتفق أغلب المعاجم العربية - القديمة منها والحديثة - على أن المادة (ق.ن.ع) معنيان:

- **الأول: السؤال والتذلل**¹، فيقال (قَنَّعَ) (بفتح النون) فلان قُنُوعًا أي سأل الناس الإحسان راضيا بالقليل².

- **والآخر: الرضى** فيقال (قَنَّعَ) (بكسر النون) قَنَّعًا وقَنَّاعَةً رَضِيََ بما أُعْطِيَ³. وقَنَّعَ بنفسه قَنَّعًا وقَنَّاعَةً: رَضِيَ، وأقَنَّعني أي أرضاني وقَنَّعني أي رضَّاني⁴. والقَنَّاعَةُ: الرِّضَى. رَضِيَ يُقَنَّعُ به أو بحُكْمِهِ أو بِشَهَادَتِهِ. وتقول العرب: قَانِعٌ وقَنَّيعٌ. ورجالٌ مَقَانِعُ وقُنُوعَانٌ إذا كانوا مَرْضِيَّيْنِ. يقال فلان مَقَنَّعٌ في العلم وغيره أي رَضِيَ.

ما يستخلص، من هذه التعريفات، وما يخدم موضوعنا الدلالة الثانية، وهي الرضى، حيث إن "الدلالة المعنوية لكلمة (إقناع) عند أهل اللغة هي رضى النفس"⁵.

- في المعاجم الأجنبية:

¹ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب. مادة (قنن).
² مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوجيز. مادة (قنن).
³ المرجع نفسه. مادة (قنن).
⁴ ابن منظور، جمال الدين. مرجع سابق. مادة (قنن).
⁵ بن عيسى باطاهر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ص ص 19-20. بتصرف

تُورد القواميس الفرنسية دلالات كلمة (Persuasion) حيث تعني¹:
إقناع وإقناع، قدرة على الإقناع، يقين.. وكلمة (Persuader) تعني أفحم
 وأقنع، وحمّ) على الإقناع، و (Persuasif) تعني مُقنع ومُفحم.

أما كلمة (convaincre) فهي تقارب دلاليًا كلمة (Persuader)² في
 جزء من دلالتها، فتعني أقنع، إضافة إلى دلالتها على الإقناع). وإن كانت
 تدل على دلالات أخرى) وتعني كذلك: أقنع فلانا أي برهن له عن ذنبه،
 وحمله على الاعتراف بذنبه، واقتنع. و (Convaincu) تعني مقتنع، واثق من
 اقتناعه. و (Convaincant) مُقنع، فصيح، (Preuve convaincante) دليل
 مُفحم³.

نلاحظ أن هناك تقاربًا دلاليًا بين كلمتي (Persuader) و
 (Convaincre) حيث تحملان معنى الإقناع والاقناع والإفحام. أما كلمة
 (Conviction) فتعني اليقين، والاعتقاد الراسخ⁴ والذي لا يتحقق إلا مع
 وجود الإقناع والاقناع. فخلافاً للدلالة المعجمية لكلمتي (Persuader) و
 (Convaincre) نجد أن موسوعة لالاند الفلسفية تُنبّه " إلى التقابل المُت
 بين أَقْنَع Convaincre (بالحجج وعموماً في سبيل الحقيقة)) وأقْنَع
 (Persuader) حمّ (بالخيال أو بالانفعال، وأحياناً في سبيل الخطأ)⁵.
 وهي إشارة مناقضة لما ورد في المعاجم اللغوية الفرنسية.

¹ زاهي طلعت قبيعة: لوديكسيونير قاموس فرنسي - فرنسي - عربي، Le Dictionnaire Français - Français - Arabe، برمجة وتصميم إلكتروني محمد وفيق حبلي. مادة (Persuader). ينظر كذلك سهيل إدريس: المنهل؛ قاموس فرنسي - عربي. ص 900.

² المرجع نفسه. مادة (Persuader).

³ سهيل إدريس: المنهل؛ قاموس فرنسي - عربي. ص 303.

⁴ المرجع نفسه. ص 304.

⁵ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية. المجلد الأول (A-G). تعريب خليل احمد خليل. ص 230.

وفي الإنجليزية يعرف كيفن هوقان (KEVIN HOGAN) وجيمس سبيكمان (JAMES SPEAKMAN) كلمة persuade بقولهما¹:

1- "أقنع، يعني دعوة شخص معين لفعل شيء ما باستعمال وسائل الحجاج، والبراهين، أو التوسلات².

2- استمالة شخص ما.....³.

3- جعل شخص ما يعتقد (أو يؤمن) بشيء ما؛ يقتنع به⁴.

4- الإقناع (persuasion)، هو فعل الإقناع⁵.

ب- الإقناع (Persuasion) اصطلاحاً:

- في الثقافة الغربية القديمة:

¹ KEVIN HOGAN, JAMES SPEAKMAN: COVERT PERSUASION; Psychological Tactics and Tricks to Win the Game. Published by John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey. 2006. P3.

² Persuade (n.) to cause (someone) to do something by means of argument, . reasoning, or entreaty.

³ To win over (someone) to a course of action by reasoning or inducement.

⁴ To make (someone) believe something; convince.

⁵ Persuasion (n.) the act of persuading

يرى أفلاطون أن هناك فرقا بين (أف) م) و(أقنع) فالفعل الأوّ يكون من صنيع الفيلسوف، حيث ينشغل بالمطلق والبحث عن الحقيقة والوجود والمثال¹. ويذكر، في هذا المقام، أن أفلاطون حلم في (الفيدر) بخطاب يكون جديرا بالفيلسوف، خطاب يُمكنه أن يُقنع الآلهة نفسها². أمّا **الفعل الثاني - عنده -** يكون من صنيع الخطيب، حيث يعالج مختلف الآراء، والأشياء المرئية، والمحتّم. وهنا يستخدم الخطيب في إقناعه " السفسطات والأدلة العاطفية حيث يكون تأثيره على خيال المستمع ومشاعره وليس على عقله"³.

أمّا أرسطو، وهو الأكثر تأثيرا فيما سيأتي من أبحاث في مجال الخطابة والحجاج، فأسهب في حديثه عن الإقناع، حيث له الوظيفة التي تُقصد من الأجناس الخطابية⁴ لذلك كان كتاب الخطابة كلّ بيان لما به يتحقّق الإقناع وأراد أن يغيّر في مصطلح الإقناع محلّ التأثير بالقول من " الانفعالي " إلى " العقلي "⁵.

ويفرّق أرسطو بين اتجاهين حجاجيين؛ حجاج جدلي وحجاج خطابي، فالأول يسمّى **تبكيتا**⁶؛ والآخر يسمّى **إقناعا**. لهذا صنّف الخطابة

¹ ليونيل بلنجر: " الآليات الحجاجية للتواصل"، ترجمة عبد الرفيق بوريكي. مقال ضمن مؤلّف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس: نصوص مترجمة، ص 92.

² المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁴ وهي: الجنس المشاجري (genre judiciaire): وأما التشاجر فمنه شكاية ومنه اعتذار. فإن الذين يتشاجرون لا محالة إنما يفعلون واحدة من هاتين.

- الجنس المشاوري (genre délibératif) أما المشير فمنه إذن ومنه منع. فإن الذين يشيرون في الخواص والذين يشيرون في العوام إنما يفعلون أبدا واحدة من هاتين.

- والجنس التثبتي أو المنافري (genre épideictique): وأما التثبث فمنه مدح ومنه ذم. ينظر أرسطو طاليس: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي. ص 17.

⁵ هشام الرفيقي: "الحجاج عند أرسطو" ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف حمّادي صمود. ص 141.

⁶ لأن تلك المحاورّة تقوم على تخطئة كل طرف للطرف الآخر باستعمال البرهان (المقدمات، العنق، والنتائج).

أو جنسها حسب المخاطبين¹ إلى ثلاثة أجناس : خطابة قضائية²؛ استشارية³، ومحفائية⁴. فأنت ثلاثة أنواع من الخطب: المشورية، المشاجرية والبرهانية⁵.

ويجعل أرسطو من الإقناع الوظيفة الأولى والأساسية للخطابة⁶ من خلال تعريفه لها، فهي "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"⁷ أو هي "فن الكلام بطريقة تتوخى الإقناع"⁸ وهدف الخطيب فيها، حسب أرسطو "هو البحث عن الوسائل الموجددة للإقناع"⁹ وليس تحقيق الإقناع في حد ذاته. وأراد أرسطو أن يجعل من الخطابة نظرية كونية: فصنّف أنواع الخطاب وأنماط الحجج المقنعة (من أكثرها تعلقا بما هو بسيكولوجي، تلك التي توظف الانفعالات والمعتقدات، إلى أكثرها عقلانية، تلك التي تستعمل الدليل بالواقعة، وبالبيّنة، وبالاستدلال)¹⁰.

واعتمادا على هذه المقامات، وأنواع المخاطبين اقترح أرسطو وسائل الإقناع المناسبة لكل مقام أو نوع من المخاطبين¹¹.

• في الثقافة الغربية الحديثة:

¹ لم يصنّف أرسطو الخطابة حسب موضوعاتها، لأنه يعتبرها تقنية تتناول جميع الموضوعات. ولم يصنّفها حسب بنيتها، لأن هذه البنية متميّزة حسب بساطة أخرى. أي حسب المقامات وأحوال المخاطبين. ينظر محمد العمري: "الخطاب في الثقافة العربية" في "الدراسات العربية"، العدد الخامس، خريف-شتاء، 1991، ص8.

ويكون فيها المخاطب قاضيا يُنتظَرُ منه أن يصدر حكما في قضايا وقعت في الماضي. ويكون المخاطب ب فيها عضوا في جمعية يشاوره الخطيب في القضايا السياسية المستقبلية. أمّا الخطابة المحفائية فتلقى في المحافل العامة على جمهور مختلط من الناس يُنتظَرُ منهم الاستحسان أو الاستهجان لما يسمعون. ينظر محمد العمري. مرجع سابق. ص8.

⁵ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁶ سامية الدريدي الحجا في الشعر العربي القديم؛ من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتها وأساليبه. ص17.

⁷ محمد العمري. مرجع سابق. ص8.

⁸ ليونيل بلنجر. مرجع سابق. ص93.

⁹ هشام الربيعي. مرجع سابق. ص144.

¹⁰ ليونيل بلنجر. مرجع سابق. ص93.

¹¹ محمد العمري. مرجع سابق. ص9.

يعرّف الإقناع عند أهل الاصطلاح الغربيين بأنه: "حمل الإنسان على اعتقاد رأي للعمل به"¹

ويقدم هنريش بليث تعريفًا يقترب من التعريف الأول، وإن كان يقتصر على تغيير المواقف دون العمل بها بقوله: "قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي"².

وفي تعريف آخر يقارب فيها غاية الخطاب القرآني، بكونه "العملية التي بها يؤثر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر"³. فيشترط في تحقق الإقناع إحداث الأثر، الذي هو نتيجة لعملية لعملية الإقناع، دون أي إكراه أو عنف⁴ أو قسر. فعملية الإقناع تنبذ العنف ولا تتخذ سبيلاً لها.

وفي تعريف لباتريك شارودو ودومينيك مانغونو يعتبران أن الإقناع حالة عقلية مرتبطة بفعل الخطاب. وتحليل عملية الإقناع، عندهما، تدعو إلى تحليل الاعتناق وخطابات الاعتناق والمعتنقين التي تؤشّر بلوغ الغاية... ولا ينظر إلى الإقناع على أنه مجرد حالة عضلية، أي انخراط العقل، وإنما العمل الذي يتم في الاتجاه الذي يوحى به الخطاب⁵.

ويعتقد توماس شايدل (Thomas scheidel) أن الإقناع ليس مجرد عملية يقوم بها الباث لتغيير اعتقاد المتلقي أو سلوكه دون وعي منه؛ بل

¹ بن عيسى باطاهر. مرجع سابق. ص 21. في -Grand Larousse Encyclopédique (Persuasion) Libraire Larousse-France.

² هنريش بليث. لغة والأسلوبية؛ نحو نموذج سيميائي لتحليل النصوص. ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري. ص 102.

³ بن عيسى باطاهر. مرجع سابق. ص 21. في: Encyclopedia Britanica (Persuasion) 15th edition.

⁴ التغليب والتطويع نوع من العنف.

⁵ باتريك شارودو ودومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود. ص 419.

إنها محاولة واعية للتأثير في السلوك.¹ معنى هذا أن عملية الإقناع لها وجهان كونها نشاطا لغويا لسانيا ولكنه مشبعٌ بأنشطة فكرية، هدفها إحداث آثار في السلوك (أفرادا وجماعات)، تتمظهر في شكل مواقف يتخذها المخاطبون، ويتم تحقيق الإقناع بخطاب، يرتكز على المنطق والحجة، ويتطلب درجة عالية جدا من الثقافة، والدراية النفسية بالآخر.

ويقول غريني (H. Grenier) في شأن الإقناع: "عندما أعمل على الإقناع فإني أرغب في اقتسام اعتقادي مع الآخرين".²

نستنتج من التعريفات السابقة أن الإقناع عملية واعية تستهدف تغيير المواقف والاعتقادات لدى المتلقين للخطاب دون إكراه ولا قسر ولا عنف.

في الثقافة العربية الإسلامية:

- في الثقافة العربية الإسلامية القديمة:

أما الإقناع عند أهل الاصطلاح - قديما - فيحدد مفهومه حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، فيقول: "هو حملُ النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده".³

وفي تعريف الخوارزمي: "ومعنى الإقناع أن يعقل نفس السامع الشيء بقولٍ يصدق به وإن لم يكن ببرهان".⁴ فالتصديق شرط أساس في عملية الإقناع وإن لم يتحقق بالأدلة والحجج والبراهين.

¹ محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص192. وينظر أيضا محمد العبد: "النص الحجاجي العربي"؛ دراسة في وسائل الإقناع. مقال ضمن مؤلفه: حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص6.

² حبيب أعراب. مرجع سابق. ص 116.

³ القرطاجني، حازمها البلغاء وسراج الأدباء، ص20.

⁴ الخوارزمي، محمد احمد بن يوسف بمفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري. ص 177.

وإن كان الإقناع قد ذُكر لفظاً ومعنى في التعريفين السابقين فإنه قد يُذكر معنى كذلك؛ إذ يتحدث الجاحظ عن شروط تحقيق الإقناع من خلال الاعتناء بالخطاب¹ شكلاً ومضموناً، ويعتبر حصول الإقناع لدى المتلقي له أثرٌ بالغٌ في القلب كأثر الغيث في التربة الكريمة، " إذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه، وكان منزهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلف، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة"².

ويعتبر محمد العمري أن " تحليل إستراتيجية كتاب البيان والتبيين للجاحظ تكشف بكل وضوح أن هذا الكتاب محاولة لوضع نظرية لبلاغة الإقناع، مركزها الخطاب اللغوي الشفوي، وهامشها كل الوسائل الإشارية والرمزية. وأساس الإقناع الخطابي مراعاة أحوال المخاطبين"³.

فتحقق الإقناع لدى المتلقين لا يكون إلا بتضافر اللفظ مع المعنى أي في حصول الانسجام والتناغم بينهما، كما سيأتي بيانه عند الحديث عن شروط نجاح ونجاعة الخطاب الحجاجي؛ إذ يعدُّ الإقناع من أهم وظائف البلاغة في الخطاب القرآني وفي الخطابات الأخرى. وتوصيل المعنى إلى النفوس هو غاية من غايات الإقناع إن لم يكن هو الإقناع نفسه⁴.

- في الثقافة العربية الحديثة:

سنسوق مجموعة من التعريفات التي قدّمها الباحثون العرب للإقناع، حيث يعرفه سعيد بنكراد بأنه " نشاط من طبيعة مغايرة، فالغاية الأولى

¹ كاعتناء أرسطو باللوغوس.

² ينظر: أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي: بيان إعجاز القرآن. رسالتضمن ثـ ث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سـ م. ص 24. وينظر كذلك محمد العمري. مرجع سابق. ص 11.

³ محمد العمري. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

⁴ بن عيسى باطاهر. مرجع سابق. ص 21.

والأخيرة للمفوض في هذه الحالة هي التأثير في الآخر والدفع به إلى تبني موقف ما أو اقتناء منتج أو التخلي عن سلوك¹.

وهذا النشاط الخطابي يستهدف التأثير العقلي والوجداني في المتلقين أو الجمهور الكوني، قصد تفاعله إيجابيا مع الفكرة أو السلعة المعروضة عليه باعتماد الحجج والبراهين الإثباتية عبر وسائط طبيعية أو صناعية.

وهذا التفاعل الإيجابي يسمّى اقتناعا من طرف المتلقين أو الجمهور، فهو فعل الأثر الناجم عن عملية الإقناع. ويشترط في تحقق هذا التفاعل توافر الظروف وحدوث الانسجام بين الرغبة الذاتية والإمكانات المتاحة والهدف المطلوب.

ويظهر في هذا التعريف كذلك، تبيان لطبيعة الإقناع والغاية المرجو منه في مجال الخطاب الإشهاري، كخطاب خاص؛ إذ غاية ما يراد في هذا النوع من الخطابات هو تحقيق التأثير المرغوب قصد اقتناء المنتج (Le Produit) أولا وأخيرا. فتركيز هذا النوع من الخطابات يكون على تغيير المواقف والسلوكيات لا على مجرد تغيير المعتقدات. أي أن صاحب الرسالة الإشهارية يريد رؤية أثر هذه الرسالة في شكل مواقف يتخذها متلقي الإشهار [المستهلك] متمثلا في شراء المنتج المعروض. ولا تهم هنا قيمة ما يعرض ويقدم بقدر ما تهم النتيجة المبتغاة من صاحب الخطاب الإشهاري.

ويعرفه محمد طاهر درويش بأنه " صرف ذهن الجمهور إلى تقبُّل ما يقال، والسكون إليه، وإشباع عواطفه وإرضاء عقله بالحجة والبرهان، وما الاستمالة إلا كسب تأييد هذا الجمهور للقضية المعروضة، واستنتاجه لما

سعيد بنك راد: الصورة الإشهارية؛ آليات الإقناع والدلالة. ص ص 187-188.

يراد منه... [وهو] كيفية تقديم مجموعة من الحقائق إلى جمهور خاص بطريقة تؤدي إلى الاستمالة والإقناع¹.

ويعرّف إبراهيم الحميدان الإقناع بشكل مبسّط وشامل بأنه: "فعل متعدّد الأشكال يسعى لإحداث تأثير أو تغيير معين في الفرد أو الجماعة"².

ويمكن أن نحلّل هذا التعريف إلى ثلاث عبارات³:

- **فعل متعدّد الأشكال**: يعني أنّه فع واضح يتمُّ بأكثر من شك - ووسيلة وآلية، وإن كانت الفكرة الأساسية أو الأسلوب أو الغرض أو الغاية واحدة.

- **إحداث تأثير أو تغيير معين**: يعني هذا أن الإقناع يسعى للتأثير في الآخر بشكل عام أو جزئي سواء كان ذلك في الفكر والسلوك معا أو في أحدهما.

- **التأثير يستهدف الفرد أو الجماعة**: ويعني أن ممارسة الإقناع والتأثير قد يكون موجهاً إلى فرد بعينه كما في الدعوة الفردية وكما بين الزوجين أو الوالدين لأحد أبنائهم أو الطبيب لمريضه، أو تكون موجّهة إلى مجموعة تمثل مجتمعاً نوعياً كمجتمع التجار، أو جنساً - كالرجال أو النساء أو الأطفال - أو أمة ونحو ذلك.

ويربط البعض الإقناع بالخطاب، وإن كان يتم بأشكال أخرى كما رأينا، فيعرّفه بأنه: "عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب

¹ محمد طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسد م. الجزء الأول. ص 1.
² إبراهيم بن صال الحميدان: الإقناع والتأثير؛ دراسة تأصيلية دعوية. ص 246.
³ المرجع نفسه. ص 247.

لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما (أو يعتبره
المخاطب) شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو الترك¹.

ما نستنتج من هذا التعريف:

- المبدأ الأول في العملية الإقناعية هو إرادة الخطيب قيام المخاطب
بفعل أو ترك. ونجاح العملية وانتهائها مرتبط بتحقيق هذه الإرادة
بالفعل.

- ينشئ الخطيب خطاباً ملائماً ومناسباً يعتقد أن المخاطب تعرّف عليه
وقبله واعتقده، ومن ثم اهتدى واسترشد به عملياً.

- يبدو دور المخاطب، في هذه العملية الإقناعية، سلبياً؛ فالخطيب هو
الذي يقوم بكل شيء لجعل المخاطب (المسخر) يفعل أو يترك ما
يريد الخاطيب.

ويضع طه عبد الرحمن الإقناع (أو الإقناعية بتعبيره، وربما يقصد
بها عملية الإقناع أو حركية الإقناع) ضمن شروط التداول اللغوي²، فيقول:
فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي
صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها
سبلاً استدلالية متنوعة تجرّ الغير جراً إلى الاقتناع برأي المحاور. وإذا اقتنع

¹ حمو النقاري: "جهد التقني الأرسطي لطرق الإقناع و سالكه"؛ مفهوم الموضوع. مقال ضمن مؤلف: الحجا
مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثالث؛
الحجا - حوار التخصصات، ص 2. وينظر كذلك: عبد الهادي بن ظافر الشهري. مرجع سابق. ص 451. في: حمو
النقاري: حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم الموضوع. ص 88.
² وضع طه عبد الرحمن أربعة شروط للتداول اللغوي وهي على الترتيب: 1- النطقية لاجت 2- اعية 3- الإقناعية 4-
الاعتقادية.

الغير بهذا الرأي، كان كالقائل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به، ردّه على قائله، مُطْلَعًا إِيَّاهُ عَلَى رَأْيِ غَيْرِهِ، وَمُطَالِبًا إِيَّاهُ مِشَارَكَتَهُ الْقَوْلَ بِهِ"¹

يشترط طه عبد الرحمن في تحقيق **الإقناع** ألا يكره المخاطبُ مخاطبَه ولا يقمعه، وإنما يعتمد على أساليب الاستدلال المتنوعة في تحصيل مراده، وذلك بمشاركة المخاطب له اعتقاداته وأفكاره، ومن هذه الأساليب، كما ذكر طه عبد الرحمن، **الصنف الحجاجي**. فتحصيل الاقتناع لدى المخاطب يجعله في منزلة المخاطب فكأن الاعتقاد اعتقاده، وكأن الرأي رأيه. وأما إن حدث وأن لم يقتنع المخاطب برأي مخاطبه، كان له حق الردّ، فيصبح المخاطبُ مخاطبًا والمخاطبُ مخاطبًا، فيقدّم الأول رأيه ويشرك الثاني في اعتقاداته وأفكاره محاولاً إقناعه، وربما حصل الاقتناع من الثاني، وربما لم يحصل².

ولا يفرّق طه عبد الرحمن بين الإقناع والاقتناع، فالإقناع ما كان من المخاطب، والاقتناع ما حصل من المخاطب. بل إن الاقتناع يترتب على الإقناع.

ولا ننسى أن طه عبد الرحمن يتحدث في نطاق التداول اللغوي، وما يشترط في تحقيقه، من نطقية، واجتماعية، وإقناعية، واعتقادية، وهي شروط مثالية، لأن الخطابات البشرية اليومية يعترضها الكثير من المغالطات والمعوقات التي لا يتحقق معها التواصل بين الناس بالشكل المطلوب.

وإذا زواج المحاور في محاورته مع الغير بين أسلوب **الإقناع** و**الإمتاع** " فتكون، إذ ذاك، أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه

¹ طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الك. م. ص 38.
² المرجع نفسه. الصفحة نفسها. يتصرف

سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنه يراها رأي العين¹.

ولا يمكن أن يخلو أي خطاب من الإقناع، فهو شرط أساسي في الخطابة؛ لأنها إذا خلت من الأدلة المؤيدة للفكرة فإنها لا تؤدي الغرض الذي قيلت من أجله. حيث تصنف إستراتيجيات الخطاب بناء على معايير معينة، منها : معيار الهدف من الخطاب وتتأسس عليه إستراتيجية الإقناع².

ومهما تداخلت في عملية الإقناع معطيات غير لسانية، كما هي الحال في الخطاب الإشهاري، يمكن القول بأن الإقناع جهد اتصالي لساني بالدرجة الأولى مؤسس على قصد³ ومخطط له سلفا وفق إستراتيجية معينة، ووفق أهداف معينة من أجل استمالة المتلقي وإذعانه لتعديل سلوكاته ومواقفه الشخصية في ظروف مقامية معينة.

ويشترط في الخطاب الإقناعي جملة من الشروط تخص أطراف العملية التخاطبية؛ الباحث أو المتكلم أو إن شئت قلت، المقنع، إضافة إلى شروط أخرى تخص المتلقين أو الجمهور سواء أكان خاصا أو كونيا، وشروط تخص إستراتيجيات الخطاب الإقناعي.

فيجب على المقنع أن يمتلك كفاءة تواصلية و إقناعية لكسب تأييد المتلقين لرأيه وما يعرضه عليهم، وتتميز هذه الكفاءة بالمهارات التالية:

¹ طه عبد الرحمن. مرجع سابق. ص 38.

² وهناك معياران آخران للمعيار الاجتماعي، ومعيار شكل الخطاب، فأما الأول فيبين العلاقة بين طرفي عملية التخاطب، وفيها إستراتيجيتان هما: الإستراتيجية التوجيهية والإستراتيجية التضامنية. وأما الآخر فيبين شكل الخطاب للدلالة على قصد المرسل وتتأسس عليها الإستراتيجية التلميحية. ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري. مرجع سابق. ص 444.

³ تختلف مقاصد الخطاب الإقناعي القائم على الحجج وفقا للإستراتيجية المحددة من قبل الباحث أو المتكلم، فقد يبنى على الإغراء والإغواء، فيكون المقصد متعة شخصية لا غير، وقد تكون إستراتيجيته إقناعية عقلية بحتة حيث تسيطر الحجج المنطقية لتوجيه فكر المتلقين. ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

1. مهارة التحليل والابتكار.

2. مهارة التعبير والعرض المنظم للأفكار.

3. مهارة الضبط الانفعالي.

4. مهارة فهم دوافع نقد الآخر.

أما فيما يتعلّق بشروط المتلقين فهي شرط واحد وهو **التهيئة النفسية** قصد استمالة المتلقي وإعداده لاستقبال الموضوع المقصود في الخطاب الإقناعي سواء أكان موضوعا اجتماعيا أو سياسيا أو دينيا أو تجاريا. وما تمارسه وسائل الإعلام على الجمهور غير بعيد مما نقول. فتقوم بتجنيد جميع إمكانياتها البشرية والمادية، ربما لصالح برنامج سياسي معيّن لتوجّه ما يعرف بالرأي العام، فينتهياً لقبول ما يعرض عليه.

أما فيما يتعلّق بشروط الخطاب الإقناعي فيمكن أن نجملها فيما يلي:

1. خلو الخطاب الإقناعي من المغالطات الوصفية.

2. بناء الحجج على سلمية متدرجة، تراعي سياق التخاطب.

3. إحالة الخطاب الإقناعي على مرجعية ثقافية سائدة ومشاركة بين

المتخاطبين (عدم التعارض مع القيم والعادات والمعتقدات السائدة

).

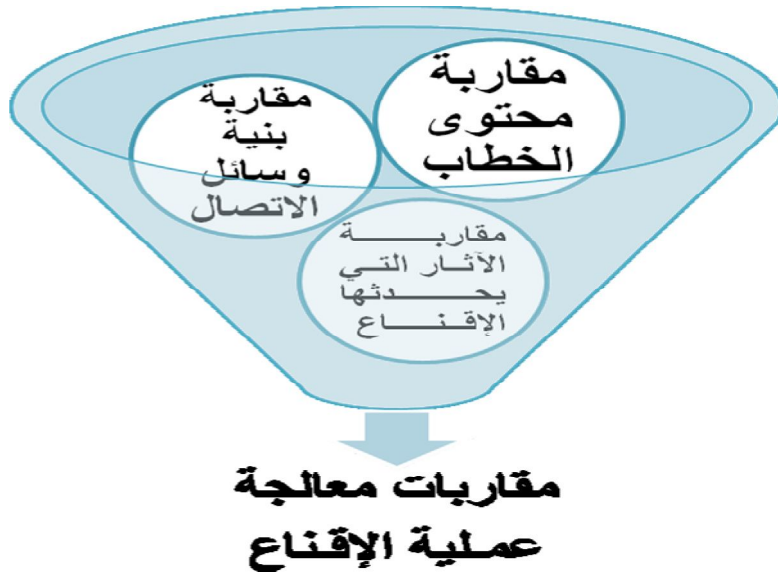
4. وضوح الأهداف، وإمكان الوصول إليها.

5. الجمع بين الرأي والرأي المضاد.

6. تنويع عرض الخطاب الإقناعي مع مراعاة التباعد الزمني في عملية العرض.

7. تحديد معاني المفردات المستعملة¹ تحديدا دقيقا لئلا يكون كل من المتحاورين يستعملها بمعنى مختلف عن الآخر فلا ينتج عن ذلك إقناع واقتناع، بل لبس وسوء تفاهم.

وقد أصبحت معالجة عملية الإقناع تتم عادة من خلال ثلاث مقاربات، نبرزها في المخطط الآتي²:



فأما المقاربة الأولى، مقارنة محتوى الخطاب، فتحدّد فيها أنماط الحجاج أو المحاجّة، وطبيعة الخطاب، وخصائصه...

¹ هذه الكلمات على نوعين: نوع له معان متعددة يختلف أحدها عن الآخر كثيرا أو قليلا ، وهذه الكلمات كثيرة في كل لغة. ونوع آخر من الكلمات هي تلك التي تشير إلى معان مجرّدة، كالحق والعدل والشرف والحرية والديمقراطية وأمثالها. وكثيرا ما استعملت أمثال هذه الكلمات ولا زالت للدلالة على أمور بعيدة كل البعد عن المفهوم الشعبي الشائع لكل منها، وقد أصاب الفيلسوف الفرنسي فولتير حين قال: "قبل أبحاثك على أي شيء، يجب أن تحدد معانيك". ينظر نايف خرما. مرجع سابق. ص 33.

² هذا المخطط هو حوصلة للمقاربات التي تحدّث عنها ليونيل بلنجر أثناء معالجة الإقناع. ينظر ليونيل بلنجر. مرجع سابق. ص 99.

وأما المقارنة الثانية، مقارنة بنية وسائل الاتصال، فهي مقارنة سياسية وسوسولوجية يطرح فيها سؤالان:

أ- يتعلق الأول بمن يتحكّم في الخبر.

ب- ويتعلّق الآخر بمن يوجّه الخبر.

وأما المقارنة الأخيرة، مقارنة الآثار التي يحدثها الإقناع، فيتم فيها تحليل النماذج الخاصة بتغيّر المواقف وتشكّل الآراء وانعكاسها في السلوك.

وقد حاول بعض الباحثين في تأليفهم¹ تطوير الدراسات التجريبية لتحليل ظاهرة الإقناع؛ حيث يرى كابيرر أن فهمها يكون بمعرفة طريقة تغيّر المواقف والسلوكيات لدى الإنسان إثر دخول الرسالة إلى حقله البسيكولوجي. أي قولبة الخبر بصورة داخل- نفسية من لدن الجهة المستقبلية في عملية التواصل، أي جمهور المتلقين.

ويعتبر كابيرر أن الإقناع عبارة عن كلّ مكوّن من متتالية تشمل ست عمليات رئيسية نجملها في المخطّط الآتي²:

¹ مؤلف (الآراء وتغيير الرأي) لـ روجي موشيلي.

² هذا المخطّط هو حوصلة لعمليات الإقناع التي ذكرها ليونيل بلنجر في مقاله الموسوم بـ: "الآليات الحجاجية للتواصل". ص 99-100.



تهدف هذه العناصر الستة إلى تحقيق الإقناع لدى المتلقين وفق

الترتيب الآتي¹:

1- لكي يتم التعرض للرسالة أو للخطاب يُطرح السؤالان: لماذا نتعرض

للرسالة أو الخطاب؟ وكيف نتعرض له؟

2- تفكيك شفرة الخطاب: ويتم بواسطة متتالية العمليات التوجيهية والتحويلية

من أجل إثارة حواس المتلقين للخطاب بإعطاء صور وكلمات ومفاهيم

مستقاة منه.

3- قبول الرسالة (التصديق): وي طرح في هذه المرحلة سؤالان:

أ- كيف يتم إعداد مسلسل قبول القصد الإقناعي للرسالة أو رفضه؟

¹ ليونيل بلنجر: مرجع سابق، ص100. بتصرف

ب- كيف يتم المرور من الفهم إلى الاقتناع ؟

4- ويطرح السؤال الآتي : كيف يتم اندماج القبول في الموقف الشخصي لمتلقي الخطاب، أي ما هي المعالجات البسيكولوجية التي تسمح للمتلقين بالمرور من مسلسل القبول إلى تكوين موقف جديد ؟

5- وكيف يتم تعميق القبول والحفاظ عليه ؟ أي كيف تتطور المواقف في الزمن ؟ وهل تتمتع التغيرات بما يكفي من أسباب المقاومة؟

6- وأخيرا كيف يتقيد السلوك الشخصي لمتلقي الخطاب بالقبول. كيف يترجم تغيير الموقف إلى تغيير السلوك؟

2- علاقة الإقناع بمجموعة من المصطلحات

تتداخل وتتعالق مجموعة من المصطلحات مع مصطلح الإقناع في هازها المفهومي وجب أن نقف عندها من أجل تبيان الفروق الدقيقة بينها وبين الإقناع، لعل من أهم هذه المصطلحات: الاقتناع، التأثير، الإذعان: التصديق، التواصل.

أ- علاقة الإقناع (Persuasion) بالاقتناع (Conviction):

فأما الاقتناع (Conviction) فيعرف بأنه: "الرضى به [أي بالشئ] ويطلق على اعتراف الخصم بالشئ عند إقامة الحجّة عليه، وهو على العموم إذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاحتمال كاف لتوجيه عمله، إلا أنه دون اليقين في دقته"¹.

وتؤيد موسوعة لالاند الفلسفية اختلاف الاقتناع عن اليقين من جهة وأنه دونه درجة أو مرتبة حيث يدل مصطلح اقتناع - في نظر لالاند - " على اشتراك العقل الكافي لتعيين العمل وتقريره، والمختلف:

- أولاً، عن اليقين، بأنه يتقبل جانباً من الترجيح، وتالياً يتقبل إمكان الخطأ، الضئيل عملياً، ولكنّه غير المنعدم نظرياً؛

- ثانياً، عن الاعتقاد، الإيمان، بأن ذلك المقتنع إنما هو مقتنع بأسباب عقلية وليس بمؤثرات عملية وشخصية"².

وتورد موسوعة لالاند الفلسفية أربعة تعريفات للاقتناع ((Conviction)) تقابل في إحدى التعريفات بين الإقناع والاقتناع. ويعدّ الاقتناع عند لالاند ذا دلالتين الأولى هي واقعة الاقتناع أو الإقناع والثانية

¹ طه عبد الله محمد السبعوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي. ص 15.
² أندريه لالاند. مرجع سابق. ص 230.

هي النتيجة أي الحكم عينه المقتنع به¹. فتشدد واقعة الإقناع على الطابع العقلي والمنطقي؛ ويفسح الحكم مجالاً لتدخل الاعتقاد².

ويعتقد بيرلمان وتيتيكاه - حسب عبد الله صولة (ت2009م) " أن تحقيق الإقناع (conviction)، الذي هو غاية الحجاج، يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال La démonstration والإقناع La persuasion³. ويهدفان في نظريتهما الجديدة إلى تحقيق الغاية من الحجاج وهو " إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان"⁴ ولا يتحقق هذا الأخير إلا بدفع المستمع إلى " المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه"⁵ أو القيام " بالعمل في اللحظة الملائمة"⁶. ويفرق شانييه (Chaignet) بين الإقناع والافتناع، حيث ير أن المرء في حالة الإقناع يكون قد أقتع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة. أما في حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائماً"⁷.

يتبين مما سبق أن الإقناع والافتناع وجهان لعملة واحدة، حيث يكون الإقناع من طرف المرسل إليه /المتلقي، والإقناع يكون من طرف الأول وهو المرسل/ الملقى، فإن لم يكن الأول فلا وجود للثاني.

¹ أندريه لا لاند. مرجع سابق. ص 230.

² ليس الاعتقاد عقل، وقد يكون من الخطأ القول إنه يقوم على المشاعر مثل الإقناع. فكلما اقتناع تبدو دألة على الم جلى العقلي لإيمان شديد، أي على الجانب الساطع لانتماء راسخ شك، لكن تسويغه ليس عق نيا بكامله. وبذلك يدل الإقناع على توليف ل نظرية ولا شخصية غير كافيةم ل عملية وشخصية حاسمة. ينظر أندريه لا لاند. مرجع سابق. ص 230.

³ عبد الله صولة: "الحطّيح و نطقاته - خ هلت ف ي الحجاج - الخطابة الجديدة قبل ا وتيتيكاه". ضمن كتاب أهم نظريات الحجا في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمود. ص 300.

⁴ عبد الهادي بن ظافر الشهري. مرجع سابق. ص 456.

⁵ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁶ المرجع نفسه. ص 457.

⁷ عبد الله صولة. مرجع سابق. ص 301.

وفيما يلي جدول شامل يلخص أوجه التلاقي والفروق الدقيقة بين

الإقناع والإقتناع¹:

الإقناع Conviction	الإقناع Persuasion
موجّه إلى الجمهور الكوني	موجّه إلى جمهور خاص
مرتبط بالذات، أي أن المقتنع هو من يقنع نفسه.	مرتبط بالغير، أي أن الغير هو الذي يقنع
عقلي	ذاتي وضيق وخاص
اعتراف بعد إقامة الحجّة	حمل المتلقي على الاعتراف
أثر أو نتيجة لعملية الإقناع	عملية خطابية في الأصل
احتمالي دون درجة اليقين	احتمالي ظني
تحقق الرضى والطمأنينة والقبول والعمل وتغيير السلوك	تحقيق الرضى والطمأنينة والقبول والتصرف وتغيير المواقف والسلوكيات
يقع الإقتناع بين الاستدلال والإقناع - حسب برلمان-	/
الإقتناع هدف للحجاج أي في الخطاب الحجاجي - حسب برلمان-	الإقناع هدف في جميع الخطابات
الإقتناع هو الوجه الآخر في الخطاب الإقناعي	الإقناع هو الوجه الأول في الخطاب الإقناعي

ب- علاقة الإقناع بالتأثير:

¹ هذه المقارنة مأخوذة من مجموع التعريفات المقدّمة حول الإقناع والإقتناع. إضافة إلى ما ذكره برلمان وتيتكا حول الفرق بين الإقناع والإقتناع في سياق تقسيمهما للحجاج بحسب نوع الجمهور: "همالحجا الإقناعي L'argumentation persuasive وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص l'auditoire particulier والحجاج الإقناعي L'argumentation convaincante وهو يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل، فهو عام لكن لما كان برلمان وتيتكا- يردان كافة أنواع الجمهور بما في ذلك المخاطب الفرد والشخص يخاطب نفسه وبما في ذلك الجمهور الخاص إلى نوع واحد هو الجمهور العام فهو الذي يستحضره الخطيب دائما باعتباره مقياس القبول أو الرفض أمكن لنا أن نقول إن برلمان وتيتكايجع ن الإقتناع وهو عقلي دائما أساس الإذعان وأساسالحجا . وأن الإقناع بما هو ذاتي وخاص وضيق لا يعتدّ به فيالحجا . ينظر عبد الله صولة. مرجع سابق. ص 301.

يعرّف التأثير (L'Influence) بأنه "القدرة على تغيير في الآخرين - لا □ إلا من خلال الأثر الذي يتسبب في إحداثه - دونما استخدام للقوة أو السلطة الرسمية"¹.

ما يستنتج من هذا التعريف ما يلي:

- أن التأثير قوة ناعمة تحدث أثرها في المتلقين.
 - يرى أثر هذه القوة الناعمة من خلال مواقف وسلوكيات المتلقين.
 - التأثير نقيض للإكراه واستخدام السلطة (بمفهومها الواسع).
- يرى البعض أن التأثير أعم من الإقناع، ولكنه يقترب بدرجة كبيرة منه. فهو "إبقاء الأثر في الشيء وتركه فيه... و □ فيه أثراً وعلامة؛ فتأثر أي: قَبِ وَأَنْفَعاً"². فيكون القبول أقرب للإقناع: الانفعال موافق للمؤثر، سواء أكان تأثيره مادياً أو نفسياً، وقد يكون هذا التأثير متدرجاً ومتمصلاً، أو يكون غير متصل وغير متدرج. وما يهمنا هنا هو التأثير النفسي، أي ما يتركه الباث لدى المتلقي من أثر نفسي نتيجة لما عرضه عليه في خطابه الإقناعي.

وفيما يلي هذا الجدول الملخص لعلاقة الإقناع بالتأثير:

التأثير Influence	الإقناع Persuasion
محله السلوك أو الموقف.	محله الفكر والعاطفة وإن كان هدفه

¹ برنامج مهارات الإقناع والتأثير مقدم إلى المركز العربي للتدريب والتأهيل جدة- المملكة العربية السعودية. تقديم د. أيوب خالد الأيوب. 2003/9/30م. معهد الأيوب الدولي- دولة الكويت-2003م. Web Site: www.aljumana.net.

² ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب. مادة (أثر).

تغيير السلوك	
أخصّ	أعمّ وأشمل
الإقناع مسبّب	التأثير نتيجة لعملية الإقناع
الإقناع غير ملازم للتأثير	قد ينتج التأثير دون عملية الإقناع
قد لا يحقق الإقناع التأثير المرغوب	قد يحصل تأثير عكسي لعملية الإقناع
الإقناع مناقض للقوة والعنف والإكراه والقسر	التأثير مناقض للقوة والعنف والإكراه والقسر

ج- علاقة الإقناع بالإذعان:

للإذعان (Détermination) معنيان، ذكرهما الكفوي في (كلياته))
 المعنى الأول: العزم، ومصدره القلب¹: في قوله " ... [الإذعان] اعتقاد
 بمعنى عزم القلب، والعزم جزم الإرادة بعد تردّد² ويحصل التردّد نتيجة
 عدم الاستقرار على رأي لشك أو ظن فيما يعرض عليه.

والمعنى الثاني: الخضوع والانقياد، ومصدرهما القلب كذلك، "
 الخضوع والذلّ والإقرار والإسراع في الطاعة والانقياد، لا بمعنى الفهم
 والإدراك"³. ونفي الفهم والإدراك نتيجة لعدم استيعاب الخطاب بمكوّناته أو
 لسلطته على المتلقي، فيسارع المتلقي إلى الإقرار بما يعرض عليه (أو
 بالأحرى بما يفرض عليه).

وقد حدّد البعض مراتب للإذعان، من أدناها إلى أعلاها، فأدناها
 يسمّى ذلّاً، والأعلى منها يسمّى يقيناً، وما بينهما التقليد والجهل المرغّب⁴.

¹ اعتقد في سفة المسلمين قديماً - تأثراً بالفلسفة اليونانية - أن مفهوم العقل مستقل عن مفهوم القلب، لأن العقل، في اعتقادهم، يختص بوظيفة معرفية، والقلب يختص بوظيفة وجدانية والأصد² - حسب طه عبد الرحمن - أن العقل فعالية من فعاليات القلب مصاحب لكل الفعاليات الإدراكية الذهنية منها والحسية في - يمكن تغيب العقل في أي عملية أو فعالية كانت، وإنما نتكلم عن درجة حضور العقل لأنه ليس درجة واحدة بل درجات متعدّدة. ينظر: الكفوي: الكليات. ص 72.

² التهانوي: بحثنا في اصطحات الفنون. ص 131، والكفوي. مرجع سابق. ص 72. الجرجاني، علي بن محمد الشريف: التعريفات. ص 73.

³ الكفوي. مرجع سابق. ص 72.

⁴ التهانوي. مرجع سابق. ص 131.

وعليه فالعزم الذي يحصل به الإذعان لا يغيّب فيه العقل؛ لأن التردّد الحاصل في موقف المتلقي إنما هو نتيجة لتوظيفه لكل الفعاليات الإدراكية، ومنها العقل، من 131 حسم موقفه وإعلان رأيه.

والإقناع يبحث، فيما يبحث، عن تحقيق إذعان المتلقي إذعانا تاما بحصول استجابته لما يعرض عليه من آراء، فيتخذ موقفا إيجابيا منها إما فعلا أو تركا.

الإذعان Determination	الإقناع Persuasion
الإذعان موقف إيجابي من عملية الإقناع	الإقناع عملية واعية
قد يحصل الإذعان دون إقناع	/
الإذعان يستهدف بعضا من الفعاليات الإدراكية	الإقناع يستهدف كل الفعاليات الإدراكية

د- علاقة الإقناع بالتصديق:

التصديق - عند الفلاسفة القدماء- إما تصوّر¹ فحسب أو تصوّر مقرون بحكم² ويقال لهذا التصوّر تصديق وهو فعل عقلي يستلزم نسبة

¹ التصوّر هو: حصول صورة الشيء في العقل. ينظر جميل صليبا. معجم الفلسفة. ص 277.

² التصوّر المقرون بالحكم هو: إسناد أمر إلى آخر إيجابا أو سلبا، ينظر جميل صليبا. المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

الصدق إلى القائل، وضدّه الإنكار والتكذيب¹. وهو - عند بعض الحكماء - أمر كسبي كالإيمان يثبت بالاختيار. ولهذا يؤمر المرء به ويثاب عليه². وعند الشريف الجرجاني " أن تنسبَ باختيارك الصدقَ إلى المُخبر³."

والتصديق درجات، إمّا يكون تصديقاً ظنيّاً⁴ أو تصديقاً جازماً⁵، فإن كان هذا الأخير غير مطابق للحقيقة سُمّيَ جهلاً مرغباً، وإن كان مطابقاً لها بدليل سُمّيَ علماً يقينياً⁶.

ويستخدم أهل الكلام (أو المتكلمة) والفلسفة العرب والمسلمين - قديماً - مصطلح التصديق ويقصدون به الإقناع أو يعدّونه مرادفاً له، حيث يقول ابن رشد (595هـ) في هذا الصدد: " إن طباع الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية"⁷.

فالتصديق هنا هو الإقناع العقلي الذي يحصل في العقول على حسب تفاوتها في الإدراك " فالعقل ليس درجة واحدة، وإنما درجات متعدّدة ولا هو شكل واحد، وإنما أشكال مختلفة"⁸، فهي تقتنع بالأدلة التي تناسب مستواها الفكري والثقافي⁹.

¹ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

² جميل صليبا. مرجع سابق. ص 277.

³ علي بن محمد الشريف الجرجاني. مرجع سابق. ص 123.

⁴ التصديق الظني: هو الذي يكون مجوّزاً لنقيضه. ينظر جميل صليبا. مرجع سابق. ص 277.

⁵ التصديق الجازم: هو الذي لا يكون مجوّزاً لنقيضه. ينظر جميل صليبا. المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁶ جميل صليبا. مرجع سابق. ص 277.

⁷ ابن رشد، أبو الوليد احمد بن محمد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. تحقيق محمّد

عمارة. ص 31

⁸ طه عبد الرحمن: سؤال الأذق؛ مساهمة في النقلاذق في للحادثة الغربية. ص 153.

⁹ بن عيسى باطاهر. مرجع سابق. ص 21.

فالتصديق والإقناع يلتقيان في كونهما يحصلان بأشكال متعددة، وإن كان التصديق يخص العقلي منها.

وأما ما يختلفان فيه، حسب رأيي، اشتمال مصطلح التصديق على وجهين؛ وجه تبليغي ووجه تهذيبي، أما الإقناع فقد يحصل بتوثير الـ [هـ] التبليغي فحسب. فربما كان استعمال مصطلح التصديق أفضل لتحقق جانبي عملية التخاطب. وسيأتي بيان هذين الوجهين حين الحديث عن قوانين التخاطب، وبخاصة، مبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص عن طه عبد الرحمن.

الإقناع	التصديق
أعم وأشمل	أخصّ
يحصل بأشكال متعددة	يحصل كذلك بأشكال متعددة
له وجه واحد غالباً: تبليغي	له وجهان: تبليغي وتهذيبي
يراعى فيه مستوى المخاطب أو المتلقي	يراعى فيه كذلك مستوى المخاطب أو المتلقي

الإقناع والتواصل :

يعتبر الإقناع من أهم وظائف التواصل وغاياته وإحدى النماذج المهمة في عملية التواصل حتى أن البلاغة العربية جاءت من أجل "التواصل والإقناع والإمتاع"¹، حيث جعلت الإقناع من بين الوظائف التي

¹ محمد مفتاح : التلقي والتأويل. ص 38.

من أجلها وضعت البلاغة العربية وحسب رأي كل من هوراد مارتين (Howarad Martin) وكينيث أندرسين (Kenneth Andersen) " أن كل اتصال هدفه الإقناع، وذلك أنه يبحث عن تحصيل ردّ فعل على أفكار القائم بالاتصال"¹

ويلاحظ أن الإقناع يهدف إلى إبراز " رغبة المتكلم في التعبير عن إحساس، حالة أو عن وجهة نظره عن العالم أو عن نفسه أو للإخبار عن شيء معين. أي أنه يصف بأكثر موضوعية ممكنة لـ: وضعية، أو إقناع كذلك. أي إنه يقترح أسباباً قوية لإلحاق المستمع بالرأي المعروف عليه. لا يمكن الخلط بين كلمات من قبيل: التعبير، الإخبار، الإقناع، لكن عند التكلم لا توجد حدود واضحة بينها كما تريده النظرية² (أي نظرية الحجاج في ثنايا التواصل).

إن الوسائل المستعملة في عملية الإقناع عديدة ومتعدّدة. توظّف طرائق مرغّبة، مستمدّة من ثراء التصرفات والسلوكات الإنسانية... وإحدى هذه الوسائل هي الحجاج المتميّز بتوظيف التفكير في ثنايا عملية التواصل³.

وفعل الإقناع، بصفة عامة، " هو أحد أشكال الفعل الإدراكي، وهو يتعلّق بمقام التلقّظ، ويتجلى في استدعاء المتكلم لكل أنواع الصيغ والطرق التي تهدف على أن يكون التواصل فعّالاً، ويقبل المخاطب التعاقد أو التفاهم

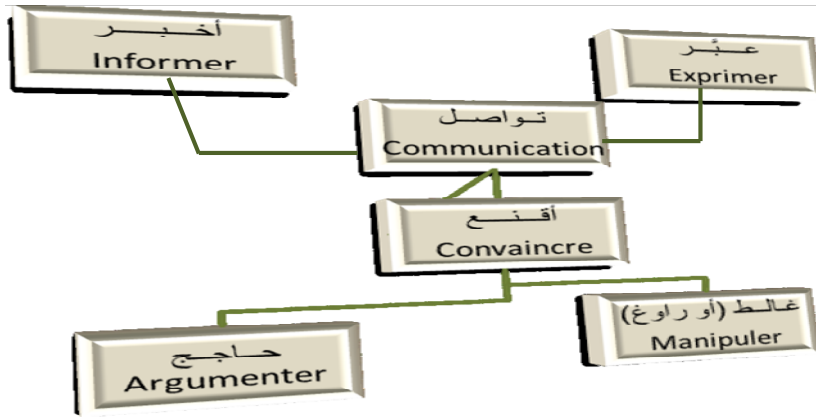
¹ محمد العيد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الاتصال. ص45.

² Convaincre est l'une des modalités essentielles de la communication, suivant que l'intention est d'exprimer un sentiment, un état, un regard singulier sur le monde ou sur soi ou d'informer, c'est-à-dire de décrire le plus objectivement possible une situation, ou encore de convaincre, c'est-à-dire de proposer à un auditoire de bonnes raisons d'adhérer à une opinion. Exprimer, informer, convaincre : ces trois registres ne se confondent pas, même si, du fait de la richesse de la parole humaine, leurs frontières ne sont pas toujours si précises que le voudrait la théorie. IN: Philippe Breton: L'argumentation dans la communication. p 3. Introduction.

³ Les moyens utilisés pour convaincre sont extrêmement variés. Ils mettent en jeu des procédures complexes, qui empruntent à toute la richesse des comportements humains. Le but de ce livre est d'introduire le lecteur à l'un de ces moyens : l'argumentation, dont la spécificité est de mettre en oeuvre un raisonnement dans une situation de communication. in ibid. p3.

التأقظي المقترح"¹. وبعءً بديلا عن استعمال العنف الجسدي. غالبا ما نحصل على عكس ما نريد باستعمال القوّة. الابتعاد عن العنف خطوة نحو إنسانية أكبر، ونحو روابط اجتماعية مشتركة وغير مفروضة بالقوة².

وقد وضع فيليب بروتون (Philippe Breton) رسما تخطيطيا يوضّح فيه مستويات عملية التواصل، نعرضه - مترجما - كما يلي³:



3- الإقناع والحجاج:

يربط أوستين فريلي (Austin Frely) الإقناع بالحجاج (أو المُحاجّة) ويعدّهما جزأين من عملة واحدة، وأنهما لا يختلفان إلا في درجة التوكيد⁴.
Emphasis⁴.

¹ حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه: اللسانيات والحجاج؛ الحجاج الـ غالط نحو قاربة لسانية وظيفية". مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البـ لغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثالث؛ الحجاج وحوار التخصصات. هامش ص 270. في: Greimas, Courtes; Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, T1, p274.

² L'acte de convaincre se présente, d'une manière générale, comme une alternative possible à l'usage de la violence physique. On peut en effet obtenir d'autrui un acte, en général non souhaité, en usant de la force. Renoncer à utiliser la force représente un pas vers plus d'humanité, vers un lien social partagé et non imposé. IN Philippe Breton: ibid. p 4. Introduction.

³ Ibid. p4.

⁴ محمد العبد: النص والخطاب والاتصال. ص192. وينظر أيضا محمد العبد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة - وسائل الإقناع". ص 6.

يعرّف الحجج Argumentation على أنّه فن الإقناع¹ إذ "يؤجّه إلى الشخص الذي نسعى إلى إقناعه"² فالحجاج إذن هو إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبته على تبني موقف معين عبر اللجوء إلى حجج تستهدف إبراز صحة هذا الموقف أو صحّة أسسه. فهو إذن عملية هدفها إقناع الآخر والتأثير عليه، ووسيلتها الحجج³. ولا يكون الحجج جيّداً إلا إذا نجح في تحقيق هدفه هذا⁴.

ويشير المصطلح Argue في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب والعلل التي يراها حجّة مدعّمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك⁵. فتظهر علاقة الحجج بالإقناع انطلاقاً من التعريف اللغوي للحجاج؛ إذ إنه يرتبط بالهدف منه وهو الإقناع، فلا وجود لحجاج دون تحقق الإقناع؛ إذ "الحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع"⁶.

ومما تجب معرفته أن الإقناع مرتبط أساساً بالحجاج، وأن الحجج قد يكون حجاجاً جدلياً، وقد يكون حجاجاً خطابياً، ولكن الإقناع الحادث في المحاورّة الجدلية يسمّى **تبكيّتا**؛ لأن تلك المحاورّة تقوم بين طرفين كلاهما يحاول تخنئة الطرف الآخر مستعملاً البرهانيات من مقدمات وعلائق ونتائج صورية منطقية. أما الإقناع الحادث في الحجج الخطابي فهو تقريب بين المتحدّث والمتلقّي، وليس بالضرورة أن يستخدم البرهانيات الصورة بحرفيتها المستعملة في المحاورّة الجدلية البرهانية، بل هو قد

¹ أبو الزهراء تروس الحجا الفلسفي. ص 5.

² ليونيل بلنجر: "عدّة الأدوات الإجرائية". ص 121.

³ أبو الزهراء. مرجع سابق. ص 5.

⁴ ليونيل بلنجر: عدّة الأدوات الإجرائية. ص 121.

⁵ ينظر مادة (Argue) في: Longman, Dictionary of contemporary English, longman, 1989، في:

حافظ إسماعيلي علوي. مرجع سابق. ص 2.

⁶ حافظ إسماعيلي علوي. مرجع سابق. ص 4.

يستعملها بصورة بسيطة، أو قد يستعمل حججا مختلفة، ويمكن أن تكون تلك الحجج، أو ما سماه أرسطو بالتصديقات حججا خارجية (كالشهود، واليمين) في بعض أنواع الخطابة.

والحق أن ما يحدث في المداخلة من حجاج، ليس مناقشة جدلية برهانية بالمفهوم المنطقي لهذه المناقشة، ولكنه جـ **حجاج خطابي** يرمي إلى الإقناع والاقناع.

والحجاج عند فان إيميرن (Van EEMEREN) وخروتندورست (Rob GROOTENDORST) هو عبارة عن " فعل تكلمي¹ (Acte Illocutoire) لغوي مركب² .

ولأداء فعل الحجاج، وضع اللسانيان فان إيميرن (V.EEMEREN) وغروتندورست (R.GROOTENDORST)، شروطا للحجة المثبتة، وأخرى للحجة المبطلّة، وضمن هذه الشروط، نجد الشرط الجوهري، يربط أداء الفعل الحجاجي بتحقيق إقناع المستمع بصواب الدعوى في حال الحجة المثبتة، أو بطلانها في حال الحجة المبطلّة³.

ويرى كل من هاورد مارتين (Howard Martin) وكينيث أندرسين (Kenneth Andersen) أن كل اتصال هدفه الإقناع، وذلك أنّه يبحث عن تحصيل ردّ فعل على أفكار القائم بالاتصال⁴.

¹ أو فعل إنجازي.

² ومعنى ذلك أن الحجة فعل تكلمي لغوي مؤلف من أفعال تكلمية فرعية وموجه، إما إلى إثبات أو إلى إبطال دعوى معينة. ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 262.

³ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 262. بتصرف

⁴ محمد العيد : النص والخطاب والاتصال. ص192. في: Martin,Howard;H-Andersen,Kenneth,F:Speech communication. Allyn and Bacon.tnc.Boston(1968).p6.

يبدو أن هذين الباحثين يعينان بالإقناع هنا بمعناه العام، وليس الإقناع الحجاجي الذي يصدر عن وسائل منطقية ولغوية خاصة¹. وعلى هذا يكون النص الخطابي نصا إقناعيا، ولكنه ليس نصا حجاجيا بالضرورة؛ لأنه لا يعبر بالضرورة عن قضية خلافية. يعني هذا أن كل نص حجاجي نص إقناعي، وليس كل نص إقناعي نصا حجاجيا. يرتبط الإقناع بالحجاج إذن ارتباط النص بوظيفته الجوهرية الملازمة في محيط أنواع نصية أخرى كالوصفيات والسرديات².

ينتمي الحجاج إلى أسرة الأفعال الإنسانية التي تهدف إلى تحقيق الإقناع. العديد من حالات التواصل (en effet) تهدف إلى اقتراح، وعند الاقتضاء، للحصول على ما يلي: تبني المستمع أو الجمهور لموقف أو سلوك أو مشاطرة المتكلم في رأيه. وكثيرا ما نصادف مثل هذه الحالات في حياتنا الخاصة أو المهنية، مثل: في الإطار العام للتفاوض³.

ويأتي ديكرود (Ducrot) برأي غريب - وفي تلميح غير بريء لـ "الخطابة الجديدة"⁴ - بأن "الحجاج مختلف فعلا عن السعي إلى الإقناع، فهو بحسب رأبي، فعل علني، صريح، لا يمكن أن ينجز إلا إذا قدم نفسه على أنه من ذات القبيل"⁵ فيبرر وجود نظريته بمنافسة النظريات غير

¹ محمد العيد: النص والخطاب والاتصال. ص192.

² المرجع نفسه. صص192-193.

³ Philippe Breton: L'argumentation dans la communication. Collection Repères. 3^{eme} éditions. 2003. P 3. Introduction.

⁴ في رأي عبد الرزاق بنور: "الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج". ص 315.

⁵ عبد الرزاق بنور. مرجع سابق. هامش ص 315. في أوزفالد ديكرود: 1984. ص 185. ينظر النص الأصلي بالفرنسية: " L'argumentation, en effet, bien différente de l'effort de persuasion est pour moi " un acte public, ouvert, qui ne peut s'accomplir sans se dénoncer comme tel."

اللسانية، أي أن لا سبيل للتخلي عن الحجاج لصالح نظرية تُدخل في اعتبارها المقوّمات غير اللغوية¹.

والجدول التالي يوضّح بشكل جيد العلاقة بين الحجاج والإقناع:

الإقناع Persuasion	الحجاج Argumentation
1- فن الإيعاز والمناورة.	1- مسار حوارِي Dialogique يستخدم أحكام القيمة.
2- هدفه الإقناع بكل الوسائل حتى غير العقلية.	2- هدفه الإقناع على أسس عقلية.
3- صورة صانع الإقناع لها دور أساسي.	3- برهنة موجّهة إلى طرف ما، وهي ليست ملزمة.
4- جمهور خاص، جمهور مستهدف.	4- جمهور خاص لكن يقصد من خلاله جمهور كوني.
5- كل نص إقناعي ليس حجاجيا بالضرورة	5- كل نص حجاجي إقناعي بالضرورة
6- كل تواصل يهدف إلى الإقناع.	6- ليس كل تواصل يهدف إلى الحجاج

- الحجاج المغالط:

قد يتّخذ الحجاج مسارا غير الذي رُسم له، فيتمُّ اللّجوء، فيه، إلى " الاستمالة والمشاحنة والمغالطة والعنف والتطرّف والإقناع والمواربة والتمويه والحيلة والتضليل والتعتيم والإيهام والمكيدة، فينقلب الحجاج بكل ذلك إلى عنف يمارس بطرق شتى، وخاصة الوسائل اللغوية، فيخرج من دائرة الحوار

¹ ينظر عبد الرزاق بنور. مرجع سابق. ص 315.

التعاوني المنتج ويتحوّل إلى حوار تعسّفي - إعناتي عقيم، وينقلب إلى حجاج مغالط يخرق القواعد العادية للتواصل"¹.

ويعرّف التطويع (أو الحجاج المغالط) بأنه: "فعل عنيف ومُكره يسلب حرية الآخر لإخضاعه. وهو بمثابة كذب منظم يُتوخى منه تغليب الآخر"².

وللحجاج المغالط (أو التطويع) عناصر يقوم عليها تتمثل في³:

- تمويه الخبر (Désinformation): عن طريق تضليل الرأي العام بتوظيف أخبار مغلوطة أو تضخيمها لأهداف محدّدة سلفاً، وخير مثال: ادّعاء الولايات المتحدة الأمريكية امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وثبت فيما بعد أن هذا الادّعاء مغلوط وكان الهدف من وراء احتلال العراق تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد.
- الدعاية: ترسيخ مبادئ معيّنة في ذهن الرأي العام بحثه على ترداد محاسنها ونشرها على نطاق واسع بهدف حصول إجماع حولها ويطلق على هذا النوع من الدعاية بالدبلوماسية العمومية التي تستهدف الجماهير العريضة للتأثير عليها وتغيير معتقداتها ومن أمثلة هذه الدعاية ما نشاهده في الخطابات السياسية للأحزاب الحاكمة التي تستغل الإعلام الثقيل لتوجيه الرأي العام نحو المشاريع التي تطرحها وضرب المشاريع المعارضة واتهامها بالخيانة والتآمر على الوطن.

¹ حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه. مرجع سابق. ص 271.

² محمد الداوي: **التواصل بـ الإقناع والتطويع**. مقال ضمن مؤلّف الحجا مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي الجزء الأول؛ الحجا : حدود وتعريفات. ص 261.

³ ط ع أكثر ينظر: محمد الداوي. مرجع سابق. ص 261.

- الضرب على الوتر الحساس: تُستغلُّ مواطن الضعف لدى المتلقي أو قابليته للتصديق أو سذاجته للتأثير عليه وتدجينه والتلاعب به. فيستغل السياسة ضعف المستوى التعليمي لعامة الشعب في بلدان العالم الثالث لتمير رسائلهم. الكثير منهم ، أي السياسة، يلعبون على هذا الوتر الحساس بخلق علاقات حميمة مع الجماهير لكسب أكبر عدد ممكن من المنتخبين¹.

- الشعور بالذنب (Culpabilité): بحيث يحس الفرد أنه المسؤول الوحيد عن إخفاقاته وإحباطاته (نقص ذكائه، وافتقاره للمؤهلات).

- الألعاب (Games): يمكن للمطوِّع إقناع الجمهور باستعمال الألعاب وسلوكات تطويعية لإيقاعهم في فخّه، وكسب مؤدته وثقته وعطفه بطرائق أكثر لينا بإثارة إعجابهم، يمكن جرُّهم إلى تبني وجهة نظر المطوِّع². (على نحو البكاء والشكوى والظهور بمظهر الضحية والإغراء).

- إطار الافتراء (Le cadrage menteur): يشغل الكذب بوصفه سلاحا حربيا وعنفا نفسيا، وذلك لترسيخ فكرة معينة ودحض غيرها.

- إطار المغالاة: يتلاعب المطوِّع بالألفاظ لإيهام المتلقي وتغليطه. وفي هذا الصدد يستعمل الألفاظ المفخّخة (على نحو إصاق تهمة الإرهابي بالمسلم). ويستعمل المطوِّع في هذا الإطار الكثير من المكونات الموطّقة

¹Philippe Breton. Ibid. p5.

²Ibid. p5.

في عملية التواصل التي هي عبارة عن وسائل وآليات تهدف إلى إيقاع الغير في فخ معنوي يخرج منه متبنيًا للرأي المعروض عليه¹.

- الإطار المكره (Le Cadrage vontraignant): يراهن على جعل المتلقي يقبل رأياً أو يتبنى سلوكاً وتحقيق هذا الهدف يلجأ المطوِّع إلى لفت انتباهه إلى قضية معينة تتخذ تعلقة للوصول على قضية مستضمرة. ونلاحظ استعمال التضليل والتغليط النفسي (La Manipulation psychologique) على نطاق واسع من تحقيق الإقناع. على سبيل المثال: ما يحدث في بعض تقنيات البيع هي نوع من العنف المستعمل ضد الغير، كما تثبت التجارب التي قام بها (Joule) و بوفوا (1987) (Beauvois م)؛ حيث يمكن وضع هذه الإستراتيجيات دون أن يتفطن الغير إلى نيّة المتكلم. وهذا ما تحدّث عنه فانس باكار (Vance Packard) في كتابه (La persuasion clandestine) في (1963)².

أما أنواعه، أي الحجاج المغالط، فهي عديدة، نجلها فيما يلي³:
التطويع الانفعالي، التطويع المعرفي (Manipulation cognitive)، التطويع الذهني (Manipulation Montale)، التطويع المهني (Manipulation Professionnelle)، التطويع العلائقي (Manipulation Relationnelle).
ويُصّف الحجاج المغالط بما يلي⁴:

- استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو وكأنه صحيح.

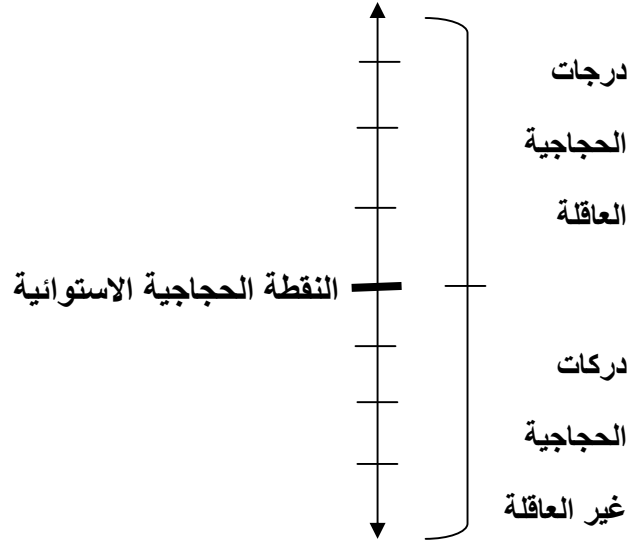
- مقنع سيكولوجياً، لا منطقياً.

¹Philippe Breton. Ibid.P5

²IBID. p 5. Introduction

³ ط ع أكثر ينظر: محمد الداوي. مرجع سابق. ص ص 262-263.
⁴ حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه. مرجع سابق. ص 273.

- يعتمد إلى الغلط المقصود.
 - يختفي وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية، بحيث لا تتبين حقيقته إلا بالفحص الدقيق.
 - يقوم على المغالطة التي تتطوي على خداع أو سفسطة، ويعمد إلى التضليل وإخفاء الحقيقة.
 - يخرق قواعد الحوار التفاعلي وكل أشكال التواصل والحوار.
- وفيما يلي سألّم درجات السلوك الحجاجي القويم ودركات السلوك الحجاجي غير القويم¹:



4- اتجاهات نظرية الحجاج عند الغربيين:

¹ رشيد الراضي الحجا والمغالطة؛ من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار. ص 18.

وبعد أن تناولنا علاقة الإقناع بالحجاج، نلخص أهم النظريات الحجاجية الغربية، وإسهامات الباحثين العرب.

إن الوسائل المستعملة في عملية الإقناع عديدة ومتعددة. توّظف طرائق مرغبة، مستمدة من ثراء التصرفات والسلوكات الإنسانية... وإحدى هذه الوسائل هي الحجاج المتميز بتوظيف التفكير في ثنايا عملية التواصل.

فآليات الحجاج هي آليات ثلاث، لغوية صرفة، بلاغية وشبه منطقية. سنتناولها في حينها.

- الحجاج عند بيرلمان (Ch. Perlman):

تعدّ نظرية الحجاج التي طوّرها بيرلمان (Ch. Perelman) وتيتيكاه (O. Tyteca) من أهم النظريات التي اهتمت بالإقناع حيث يهدف الباحثان إلى تحقيق الإقناع والتسليم أو زيادته من خلال ما يعرض من أطروحات وأفكار.

وتهتم بحوث بيرلمان وتيتيكاه "بأساليب إجراء اللغة، وتتويجات الخطاب ومقوماته، وطبائع الناس المعنيين بكل تلقظ معين"¹. وهذا ما جعل هذه البحوث تتسم بطابع التداخل المعرفي بين العلوم والتخصصات، وأهمها البلاغة. لذا سمّيت نظريتهما بالبلاغة² الجديدة، والتي تدرس الخطاب

¹ محمد سالم محمد الأمين الطلبة فهموم الحجاج عن بيرلمان وتطوره في اللغة المعاصرة. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في اللغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثاني؛ مدارس وأعمال. ص 182.

كانت النظرة إلى اللغة الكسبكية تخص سبعة مبادئ أساسية، وهي:

- 1 الإقناع، أي إبداء الاتفاق.
- 2 الإعجاب، الإغراء، أو التذعّب.
- 3 تمرير الرأي أو ما رأي محتمل بحجج متينة.
- 4 اقتراح الضمني من خلال الصريح.
- 5 تأسيس المعنى المجازي على المعنى الظاهري.
- 6 استعمال اللغة المجازية والأسلوبية والأدبية.
- 7 اكتشاف نوايا المتكلم أو الكاتب ومنحها حجمها اللغوي بها. ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة. المرجع نفسه. ص 181. في: عز الدين الخطابي، إدريس كثير: "اللغة السؤال" مجلة علميات في النقد، يونيو 1998. ص 354.

وتقنيات الإقناع...ولتحقيق هذه الأغراض لا بد لها من حجاج؛ ذلك أن الأقسام الأربعة¹ للبلاغة هي الخطوات الأساسية في تحقيق ذلك النجاح.

ويتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية²:

1- أن يتوجّه إلى مستمع.

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

3- مسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- ليست نتائجه ملزمة.

وقد سبق الحديث عن الإقناع والاقتراع عند بيرلمان، مع تركيزه على الاقتراع، واعتبار حصوله في النهاية ليس سوى انبثاق لضوء فكري معين من بين ركّام من الفرضيات المطروحة.

- الحجاج عند ديكرود (O.Ducrot):

وضع أسس هذه النظرية اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرود (Oswald Ducrot) (1973م)، وتختلف نظرتها للحجاج عن نظرة النظريات الأخرى³. حيث تمثّل تيارا تداوليا متميّزا يهتم بدراسة " استعمال الجملة في المقام، من جهة والسعي إلى سبر كل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي

¹ الأقسام الأربعة هي:

1. معالجة السؤال.
2. عرض السؤال.
3. بسط السؤال وعرضه عبر الك م والحديث.
4. الفعل والحركات. ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة. المرجع نفسه. ص 182. في: عز الدين الخطابي، إدريس كثير: "بلاغة السؤال". ص 354.
² المرجع نفسه. الصفحة نفسها. في: أوليفي رويولان: "ك أ يوجد حجاج غير ب غي؟"، ترجمة محمد العمري. ص 77.

³ كالب غلغا سيكية عند أرسطو، والبلاغة الجديدة عند شليم بيرلمان، ...

المحتمل من جهة أخرى¹، لهذا سمّيت بالتداولية المدمجة، أي تدمج الجزء التداولي في الدلالة.

وفحوى هذه النظرية أنها لسانية بحتة وأن " الحجاج فعالية تداولية جدلية"²؛ أي " تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤدّاها : إننا نتكلم عامة بقصد التأثير"³.

ويقارن ديكرو (O.Ducrot) بين الحجاج والاستدلال المنطقي، ويعتبر أنهما ينتميان إلى نظامين جد مختلفين، نظام المنطق بالنسبة للاستدلال، ونظام الخطاب بالنسبة للحجاج. ويبدو فصل ديكرو بين الحجاج والاستدلال مبالغاً فيه؛ " لأن القول بأن الحجاج عمل يظهر في الخطاب وتحّدده البنية اللغوية للقول، لا يعني بالضرورة أن الحجاج ليس صورة من صور الاستدلال كما أن اعتبار الحجاج صورة من صور الاستدلال لا يفضي بالضرورة على فهم منطقي يرجع الأقوال إلى الأشكال القياسية المعلومة في علم المنطق"⁴.

وقد تأثرت نظرية الحجاج في اللغة بأبحاث بنفنست ونظرية أفعال الكلام لأوستين (Austin) وسيرل (Searle)، وبخاصة في منطلقاتها

¹ شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة". مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف حمّادي صمود. ص 351.

² بنعيسى أزيبيط: البعد التداولي في الحجاج اللساني (استر التداولية الد؛ جة؛ نظرة ت ب يونس وأبي سعيد السيرا ي ن وذا). مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في اللغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. ص 297.

³ أبو بكر العزّاوي: الحجاج في اللغة". مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في اللغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الأول؛ الحجاج : حدود وتعريفات. ص 56.

⁴ شكري المبخوت: " تحليل حجاجي لظاهرة بديعية". مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في اللغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. ص 149.

الأساسية، ولكن ديكر (Ducrot) أضاف فعلين لغويين في أفعال الكلام، وهما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج.

ويعرّف ديكر الحجاج بأنه: "أن يقدم المتكلم قولاً ق1 (أو مجموعة من الأقوال) موجّهة إلى جعل المخاطب يقبل قولاً آخر ق2 (أو مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان ق2 صريحاً أم ضمناً، وهذا الحمل على قبول ق2 على أنه نتيجة للحجة ق1 يسمى عمل محاجة¹، أو بعبارة أخرى هي "تقديم الحجاج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة... ويكون هذا بإنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج"². وتحدّد التسلسلات الخطابية بواسطة الوقائع (Les Faits). بنية الأقوال، المواد اللغوية الموظفة في الخطاب الحجاجي.

ويبيّن ديكر (O.Ducrot) سمات الحجج اللغوية في سياق تفرّقه بين الحجاج والاستدلال، نذكر منها: الحجج اللغوية سياقية³، نسبية⁴ وقابلة للإبطال⁵.

وقد وضع ديكر جملة من الآليات اللغوية لتحليل الخطاب الحجاجي، سنكتفي بذكرها، وستكون لنا عودة إليها في الفصل التطبيقي، منها: السلم الحجاجي، الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية، والمبادئ الحجاجية.

¹ المرجع نفسه. ص148.

² أبو بكر العزاوي. مرجع سابق. ص57.

³ ويقصد بالسياقية أن الأقوال المتتالية في الخطاب الحجاجي تكون إما حججاً أو نتائجاً، وما يفرّق بينها هو السياق. وكذا كل عنصر دلالي يقدّمه المتكلم يؤدي على عنصر دلالي آخر، فالسياق هو الذي يصيّر حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية. ينظر أبو بكر العزاوي. مرجع سابق. ص59.

⁴ ويقصد بالنسبية النظر على قوة الحجة، فالحجج تختلف من حيث قوتها؛ فهناك حجج قوية وحجج أقوى، وهناك حجج ضعيفة وحجج أضعف وأوهى. ينظر أبو بكر العزاوي. مرجع سابق. ص59.

⁵ ويقصد بالقابلية للإبطال اختف الحجة اللغوية عن البرهان والاستدلال المنطقي والرياضي، في كون الأول نسبي ومرن وتدرّجي، أما الثاني فهو مطلق وحتمي.

- الحجاج عند فيليب بروتون (Philippe Breton):

مدلول الحجاج، عند فيليب بروتون، متعلق بعلوم التواصل، هذا الدرس الجديد يتناول كل ما يتعلق بتجسيد ونقل الرسالة، في نفس الوقت الذي يهتم فيه بالمعنى الاجتماعي لهذه الآلية¹.

وما نهدف إليه، في عملية التواصل الحجاجي، هو الوصول إلى كيفية جعل الغير يشاطرنا الرأي. وعلينا أن نتذكر أولاً أن الحجاج يعني توافر مرسل يعرف بالخطيب، ورسالة (متكوّنة من رأي المرسل مبني لأجل الإقناع)، ومرسل إليه (الغير - الجمهور). إذاً، يعتمد الحجاج على المثلث التقليدي: مرسل - رسالة - مرسل إليه. وهذا ما تناولته علوم التواصل².

وفي سياق تحديد علاقة الحجاج بالتواصل، يقول فيليب بروتون (Philippe Breton) " فنقل المعلومة على طول الوسيلة ليس له الطبيعة نفسها مع تشكيل رأي ونقله نحو المخاطب، لذلك لا بدّ أن نفكر في مخطّط التواصل حالة المحاجّة"³.

وإذا كان الحجاج فعّالية من الفعاليات التي مجالها التداولية، وبما أنه يشمل كل أنواع الخطاب: الدينية، الشعرية، السياسية، القانونية، وغيرها من الخطابات، والتي تتجز بوساطة اللغة الطبيعية. وبما أن هذه اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، فيكون الحجاج مظهراً من مظاهر الحياة اليومية شأنه في ذلك شأن التواصل، فلا يمكن أن يكون هناك حجاج دون تواصل.

¹ Philippe Breton. IBID. p 7. Introduction.

² Philippe Breton. Ibid. p7. Introduction.

³ عبد العزيز السرا : التواصل والحجاج (آلية ع قة؟) الجزء الأول؛ الحجا : حدود وتعريفات. ص 273. في: Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, ed alger casbah, 1998, p17.

ما العلاقة بين التواصل والحجاج؟ هل كل تواصل حجاج؟

يقول البعض أن الحجاج أصبح شأنًا من شؤون التواصل، يدبره علماء النفس والبلاغيون أكثر مما يدبره المناطقة. وسنقدّم هذا التعريف للحجاج لتبيان علاقته بالتواصل لتأكيد أو نفي المقولة السابقة: "إنه تلك الخطوات التي يحاول بها الفرد أو الجماعة أن تقود المستمع أو المخاطب إلى تبني موقف معيّن وذلك بالاعتماد على تمثيلات حجاجية ذهنية مجردة أو حسيّة ملموسة تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيته"¹.

ما يستنتج من هذا التعريف²:

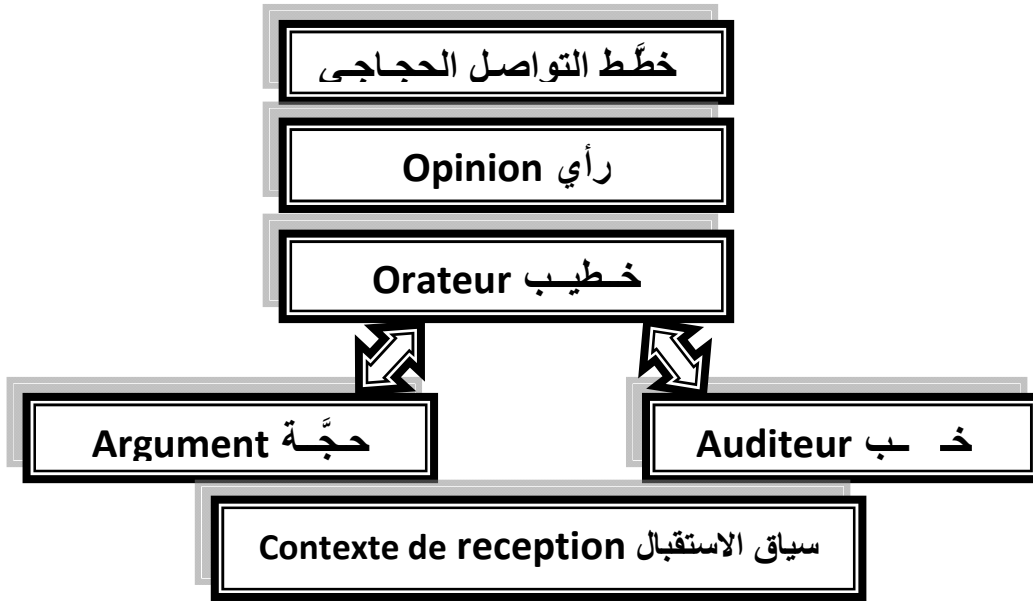
- أن الحجاج إستراتيجية تواصلية.
 - أن الهدف من هذه الإستراتيجية هو التأثير في الآخرين وإقناعهم.
 - أن الحجاج نظام تواصل يفاعل فيه ما لفظي بما هو غير لفظي.
- ويمتاز التواصل الحجاجي بجملة من الخصائص، تتمثل في:
- **القصديّة أو المقصديّة**: وهي إستراتيجية ضرورية لعملية التواصل الحجاجي؛ إذ الأصل في الكلام، الموجّه من قبل المتكلم، القصد. وما يقصد إليه المتكلم في عملية التواصل الحجاجي هو الوصول إلى إقناع المخاطب بما يعرضه عليه من آراء وأفكار؛ أي وصول المخاطب إلى درجة الاقتناع بتغيير موقفه وتبني موقف المتكلم.
 - **الاتّفاق**: وهو شرط لنجاح وفعالية التواصل الحجاجي؛ إذ "ينجح في إنماء قوة الانضمام بطريقة تحريك المستمعين للفعل المرتقب (

¹ المرجع نفسه. الصفحة نفسها. في: P, Oleron, L'argumentation, que sais-je? Paris (P-U-F). 1983, p22.
² عبد العزيز السرا . مرجع سابق. ص 274.

إيجابي أو إجمام)، أو على الأقل أن تخلق في أنفسهم ميلا على الفعل الذي سيفصح عنه في وقت مناسب¹.

- **التسييق (Contextualisation):** وهي أهم خاصية في التواصل الحجاجي، على اعتبار أن الخطاب يجب أن يوضع في سياق حتى يسمّى خطابا، ولكي يحقق أهدافه لا بد من وضعه في سياقه الخاص به، وهو السياق المقامي. الذي يجعل من عملية التواصل أمرا ممكنا، فيما يتعلّق بعناصر العملية التخاطبية، الظاهرة منها والمضمرة.

ومما سبق عرضه، عن علاقة الحجاج بالتواصل أو ما يسميه فيليب بروتون (Ph.Breton) بالتواصل الحجاجي، يضع مخططا، يسمّيه المثلث الحجاجي:



- الحجاج عند ميشال مايير (M.Meyer):

¹ المرجع نفسه. ص ص 274-275.

اشتهر ميشال مايير (Michel Meyer) بنظريته الموسومة بنظرية المساءلة (La Problématique)، وما يهمننا في هذا المقام آراؤه في الحجاج. " فالحجاج لديه محايت لاستعمال الكلام؛ لأن الكلام يتضمّن بالقوة سؤالاً يستمدّ منه دلالاته¹ أو " إثارة السؤال أو التصدي له²، أما الحجاج فهو " ..يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب الأدبي وغيره...وهو ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذ إزاء مشكل مطروح في سياق يوقّر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال³ . ويمثّل لديه هذا الزوج الوحدة الأساسية للغة، ومن ثم فإن استعمال اللغة يحدّد دائماً تبعاً لها⁴.

ويعرّف ميشال مايير (M.Meryer) الحجاج بأنه " دراسة العلاقة القائمة بين القول المظهر والقول المضمّر⁵ يظهر تأثر مايير (Meyer) بأوزفالد ديكرو (O.Ducrot)، حينما اعتبر أن القول المظهر والقول المضمّر مفهومان أساسيان يصبغان عملية الحجاج؛ حيث يعنى القول المظهر (أو المصرّح به) بظاهر السـ يعنى القول المضمّر (أو الضمني) بمختلف الإمكانيات المتاحة للإجابة عن السؤال الواحد.

والعلاقة بين المظهر (أو المصرّح به) و المضمّر (أو الضمني) تحدّد حجاجية اللغة، ومن ثم الاستنتاج الذي تنتجته⁶. وفي هذا الإطار ترتبط

¹ محمد علي الطلوصيَّة والحجاج - خذ ل نظرية الـ مساءلة لـ ميشال يار". مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف حمّادي صمود. ص 394.

² ميشال مايير: اللغة والـ نطق والحجاج؛ اللغة والسياق"، تقديم وترجمة محمد أسيداه. مقال ضمن مؤلّف الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في اللغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس؛ نصوص مترجمة. ص 16.

³ محمد علي القارصي. مرجع سابق. ص 394.

⁴ ميشال مايير. مرجع سابق. ص 16.

⁵ المرجع نفسه. ص 24.

⁶ المرجع نفسه. ص 16.

البلاغة بالحجاج، فإذا كانت البلاغة " أن نفاوض في المسافة " ¹ "... القائمة بين الأشخاص حول مسألة أو مشكلة ما...وكيفية تعامل المتخاطبين فيما بينهم إزاء المسائل المطروحة عليهم وما ينجرُّ عن ذلك من اختلاف أو اتفاق أو رغبة في التقارب أو التنافر أو الحياد" ². ويترتب عن ذلك أن تنهض لغويا بما يضمن تحديد أشكال الإقناع والتأثير بحسب مقصد المخاطب ومقتضيات المقام ³.

وانطلاقاً من الوحدة الأساسية للغة عند ميشال مايير (M.Meyer) وهي ثنائية سؤال/ اب، يصوغ القانون العام الآتي ⁴:

1- كل استعمال للغة يمثل جواباً عن مشكل، حتى حينما يتعلّق الأمر بالتعبير عنه.

2- إذا كانت الغاية من كل حل هي عرض الجواب، فإن المشكل الذي استوجبه لن يطرح البتة بعد أن يقترح له، لذلك فإن غاية اللغة لا تتمثل في التعبير عن المشاكل بل في التعبير عن حلولها. ويلزم عن هذا التقابل حل/مشكل يطابق التقابل القائم بين المظهر والمضمّر. فالمشكل، حتى عندما يعبر عنه لا ينقال؛ إنه لا يصرح به، بل يطرح نفسه.

3- إن الإجابة باللغة والالتجاء إلى المظهر للبت في أيما مشكل معناه بناء صورة ما، وهذه الصورة، من حيث هي لغة، هي ما به يرتسم بين المشاكل والحلول، لذلك فهي تقيم حاجزا بينهما بموجب الخط الفاصل بين المضمّر (الذي يكون عديم الصورة) والمظهر (الذي له صورة).

4- عندما نجيب عن مشكل ما بالتعبير عنه، فإن الحل الجزئي الذي يستدعي على نحو صريح حلاً مكملاً يرتسم صورياً باعتباره حلاً جزئياً. فهذا الذي لا ينقال، الذي لا يصرح به أبداً يذكر بصورة الحياة، الأثيرة عند

¹ محمد علي القارصي، مرجع سابق، ص 395.

² المرجع نفسه، ص 397-398. في: M. Meyer: Question de Rhétorique. P22.

³ محمد علي القارصي، مرجع سابق، ص 395.

⁴ ميشال مايير، مرجع سابق، ص 32.

فتجنشتاين، التي تناسبها مختلف الاستعمالات اللغوية التي لا تستنفدها أبدا. وهذه الفكرة كانت توجد أصلا في الرسالة، لأن الأسئلة عندما تحل أو تحلل فإن المشاكل الحقيقية والأصلية التي لا تنقل، المرتبطة بالحياة تبقى مطروحة، ولا يمكن لأي لغة أن تحيط بها على نحو كاف بله أن تحلها.

المبحث الثاني : الخطاب القرآني، مفهومه، علاقته بالحجاج

1- مفهوم الخطاب (Discours):

أ- لغة:

- في الثقافة العربية الإسلامية:

يُطلق (الخطاب) في الثقافة العربية على: "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابا، وهما يتخاطبان"¹ " أو هو " الكلام بين اثنين"². و" توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"³ هو " الكلام الموجّه"⁴ نحو الغير للإفهام. وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب "⁵. وهو " الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمّى خطاباً"⁶. ويظهر من الدلالة اللغوية لـ (الخطاب) اقتصار مفهومه على اللغة الملفوظة في حالة المحاورة، ويضاف إلى ذلك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة، والأمر الأساسي في كلمة (خطاب) تحقق خاصيتي (التفاعل) و (التواصل) وتحقيق معناهما.

¹ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب. مادة (خطب)

² ابن فارس: مقاييس اللغة. مادة (خطب)

³ السيد علوي بن احمد السقاف: الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية من المسائل والضوابط والقواعد الكلية. مصطفى البابي الحلبي. ص 62 ينظر أيضا كتشاف اصطحات الفنون للتهانوي. ص 749.

⁴ يفرّق التهانوي بين فعل توجيه الك م وبين الك م ذاته، أي بين لحظة إننا الذات للك م وبين حدث الك م. ينظر نبيل موميد: حد الخطاب بين النسقية والوظيفية. ص 82.

⁵ التهانوي. مرجع سابق. ص 749. في: احمد العلوي. الطبيعة والتمثال. ص 223.

⁶ الكفوي، أبو البقاء. مرجع سابق. ص 419.

فيعدُّ الكلام والخطاب متقاربان فيما أوردته هذه التعريفات. وتتفق في وضعها لشروط تحقق (الخطاب) وتميِّزه عن (اللا خطاب)، وهي أن الكلام إذا لم يكن القصد منه تحقيق الإفهام فلا يسمَّى خطاباً، وأن الكلام موجَّه إلى الغير، أي إلى المخاطبين، وهو الأصل، ويعدُّ مخاطباً كل من هو أهل للفهم. والغرض من هذا الخطاب إفهام المخاطبين. فتحدّد هذه التعريفات طرفي الخطاب، المتكلّم والمخاطب، ووظيفة الخطاب وهي الإفهام، والغرض من الخطاب.

وما تضيفه المعاجم العربية الحديثة، في الدلالة اللغوية للخطاب، أنّه، إنما جاء لأجل إقناع الناس أو المخاطبين به¹.

- في الثقافة الغربية:

أما في الثقافة الغربية، فالخطاب (Discours) على المستوى اللغوي البحت مأخوذ من اللاتينية (Discursus)، ومما يعنيه الجري ذهاباً وإياباً².

والترجمة الشائعة لمصطلح (Discourse) هي الخطاب، ومعناه اللغة المستخدمة أو استخدام اللغة (Language in use) لا باعتبارها نظاماً مجرداً³. أو هو وضع اللغة في حالة استعمال⁴.

ومما تعنيه كلمة (خطاب) (Discours) في المعجم الفرنسية⁵:

¹ مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. مادة (خطب).

² Encyclopedia Universalis, Multimedia 2010, discours.

³ محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة؛ دراسة ومعجم إنجليزي عربي. ص 19.

⁴ Le Discours est le langage mis en action. (Syn: Parole), in: jean dubois et autres: dictionnaire de linguistique. P 450.

⁵ زاهي طلعت قبيعة. مرجع سابق. مادة (Discours). ينظر كذلك : josette Le petit Robert, sous la direction de : josette rey debove et alain rey, 2001, p735.

- الموضوع الذي نتكلم فيه.
- الحديث أو المكالمة أو التعبير اللفظي عن الفكر (الكلام).
- خطبة شفوية أمام جمع من الناس.
- أحاديث تتعلق بنفس الموضوع.
- كتابة أدبية تعالج موضوعا بطريقة منهجية.
- الكلام، وقد يعني ملفوظا لغويا قابلا للملاحظة (جملة، متواليات من الجمل المنطوقة، نص مكتوب، وذلك على النقيض من النسق المجرد للسان).
- عالم الخطاب: أي مجموع أسيقته.
- يلاحظ أن مدلول كلمة (خطاب) غير ثابت، له مدلولات عامة وأخرى خاصة، فالعامية من قبيل الحديث أو المكالمة الشفوية بين الناس... ولكنه يتعلق أساسا بالحديث الشفوي أو التعبير اللفظي. أو مجموع الأحاديث الشفوية في نفس الموضوع.
- تلتقي التعريفات السابقة في الثقافة الغربية مع تلك الواردة في الثقافة العربية في جملة من النقاط، لعل أهمها:
- تركيزها على الخطاب الملفوظ؛ لأنه هو الأصل (دون إهمال الخطاب المكتوب).
- الخطاب هو نفسه الموضوع المتحدّث فيه.
- تحقق خاصيتي التواصل والتفاعل في الخطاب.

- الهدف من الخطاب هو إقناع الجمهور أو المتلقين.

وإن كان الكلام، في الثقافة العربية، يتوخى تحقق شرطين: تحقق قصد الإفهام وإلا نفيت عنه الصفة الخطابية من جهة. وتحقق شرط اللغة المشتركة (اللفظ المتواضع) بين المتخاطبين من جهة أخرى.

ب- اصطلاحاً:

- في الثقافة العربية:

استندت أعمال الأصوليين القدامى (علماء الأصول) على الخطاب، بل إنه كان محور بحوثهم، ونتيجة لهذا الاهتمام لم يحفل الكثير منهم بتعريف (الخطاب)، لأنه على ما يبدو كان واضح المعنى، ومن الذين تصدوا لتعريفه الأمدي بقوله: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"¹.

يشترط الأمدي في الخطاب، من خلال تعريفه، ثلاثة شروط، وهي:

- مضمون الخطاب: اللغة المشتركة بين المتخاطبين.

- المقصد من الخطاب: تحقيق الإفهام لدى المخاطب أو المستمع.

- وضعية المتلقي أو المستمع: تهيؤ المخاطب أو المستمع لتلقي الخطاب.

وقد شبّه عبد القاهر الجرجاني واضع الكلام بمن يأخذ قطعاً من الذهب إلى الفضّة، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة فيربط بين أجزاء الخطاب ربطاً علائقياً بحيث يصبح مجموع الكلام كلاماً

¹ الأمدي، علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ص 136.

واحدا. ويشير العلماء القدامى إلى الترابط العضوي بين الوحدات اللغوية - داخل الخطاب - بالعبارة الشهيرة " كل كلمة مع صاحبها مقام"، حيث التغيير الحادث في أي وحدة لغوية يصاحبه تغيير في سائر الوحدات اللغوية.

ولم يكتفي القدامى بدراسة العلاقات الداخلية للخطاب بل تعدوها إلى دراسة العلاقات الخارجية، من حيث مطابقة مفردات الخطاب للواقع الخارجي من عدمها.

وربط العلماء القدامى الخطاب المتخاطبين، كما سبق أن بيّنه الأمدي في تعريفه، فالمتكلم أو المخاطب ألف خطابه وفق معتقداته وافتراضاته وغاياته، وكلها تؤثر في إفهام خطابه. والمستمع أو المخاطب يستمع إلى الخطاب وفي ذهنه افتراضات وقراءات وتجارب سابقة، وكلها تؤثر في فهمه للخطاب.

ولا ننسى في هذا السياق ما وضعه الجاحظ من شروط لتحقيق الغاية من الخطاب.

وعند المحدثين يُعرّف الخطاب بالنظر إلى علاقته بالجملة بأه " كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا"¹. ويضيف التعريف الآتي الصفة التواصلية في الخطاب إضافة إلى تجاوزه للجملة، حيث " يعدُّ خطابا كل ملفوظ / مكتوب يشكّل وحدة تواصلية قائمة الذات"². ويتسم الخطاب بأه " كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء، وأية محاولة لفصل أجزاءه بعضها عن بعض تؤدي إلى تغييره وإعادة بنائه"³. ويربط تعريف آخر بين الكتلة البنيوية للخطاب وبين ظروف إنتاجه

¹ ميجان الرويلي وسعد البازعي. دليل الناقد الأدبي. ص 155.

² احمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية؛ دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. ص 24.

³ محمد محمد يونس علي: المعنى وظ ل المعنى. ص 153.

الخارجية، بأنه " كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع)¹ .

فالخطاب - حسب التعريفات أعلاه - يشمل الملفوظ والمكتوب، ويشمل الجملة ويتجاوزها، ذو بعد تواصلية. حيث يربط، في الخطاب، بين البنية اللغوية (الأصوات والوحدات المعجمية والعلاقات التركيبية...) بالظروف المقامية. ويشترط توفّر معارف (عامة² ومقامية³ وسياقية⁴) تبرّر إنتاج الخطاب وتحقّق التواصل بين المتخاطبين⁵.

ويقدّم طه عبد الرحمن تعريفاً متميّزاً وشاملاً للخطاب، يقف فيه: " دُ الخطاب أنّه كل منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً⁶ .

فالخطاب - حسب طه عبد الرحمن - يحتوي على ثلاثة عناصر:

- أن الخطاب كل منطوق، فهو يستبعد المكتوب على أساس أن الأصل في الخطاب المنطوق.
- أن الخطاب موجّه إلى متلقٍ (ين).
- أن الخطاب يوجّه إلى المتلقي قصد إفهامه مقصوداً مخصوصاً.

وفي تعريف آخر يربط بين الخطاب والنص؛ إذ يعتبر النص اللغوي بعد استعماله¹ خطاباً. فيعدّ عنصر الاستعمال حاسماً في التفرقة

¹ نبيل موميد: "حد الخطاب بي النسقية والوظيفية". ص 89. في: احمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من النص إلى الجملة. ص 16.

² وهي مدركات المتخاطبين عن العالم. ينظر نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

³ وهي مشتقة من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل. ينظر: نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

⁴ وهذه المعارف يوفرها للمتخاطبين ما تم إيرادها في قطعة خطابية سابقة. ينظر: نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

⁵ المرجع نفسه. ص 87.

⁶ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 215.

بين النص والخطاب فأي نص دخل مجال التعامل والتفاعل بين المتكلم والمستمع أصبح **خطابا**. وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلّاعي من المخاطب إلى المخاطب².

وتترابط أجزاء الخطاب فيما بينها علائقيا، عضويا وخارجيا³.

وفي معرض حديثنا عن تعريف الخطاب يفرض مصطلح النص نفسه بقوة نظرا للـ المتشابهة، بين الخطاب والنص، بيد أن فض الاشتباك بينهما أمر عسير جدا. ومهما يكن من أمر، فإن هناك فروقا أولية ينعقد عليها الإجماع نظريا، من أهمها ما يلي⁴:

النص Texte	الخطاب Discours
النص بنية مترابطة تكوّن دلالية	الخطاب موقف ينبغي أن يطابق الواقع.
/	الخطاب نص في الاستعمال
الأصل في النص المكتوب	الأصل في الخطاب المنطوق أو الملفوظ
/	الخطاب نص مرتبط بالسياق
النص لا يتضمّن ملابسات وظروف إنتاجه	الخطاب أوسع من النص
يكون نص عادة أقصر	يكون الخطاب عادة

- في الثقافة الغربية:

¹ محمد محمد يونس علي: المعنى وظ ل المعنى؛ أنظمة الدلالة في العربية. ص 157.

² المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه. ص 153 وما بعدها.

⁴ محمد العيد: النص والخطاب والاتصال. ص 12.

يكتنف حد الخطاب، كما يقول هرمان باري (Herman Parret) التباس مفهومي شديد، حيث تجاوز المدلول اللغوي إلى مفهوم كان يبدو أكثر تحديدا. حيث يرى هـ.ب. غرايس (Grice) أن " للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة"¹.

وتبدو مهمة رصد مدلول الخطاب في الاصطلاح الغربي صعبة، وقد كان هاريس أول من حدّد مفهومه حين قدّمه كمتوالية من الملفوظات ذات علاقات معينة، ثم جاء بنفسه لتعريف آخر للخطاب لا يقف به عند حدود الملفوظات، فالتلفظ هو الفعل الحيوي في إنتاج نص ما، وهو مقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمستقل عن الذات التي أنجزته، ويرى فيه أن الجملة أصغر وحدة في الخطاب، وهي تتضمن علامات وليس علامة واحدة، ومن ثم فالخطاب عند بنفسه " الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"، ويميّز بعد ذلك بين نظامين للتلفظ بواسطة تحليل مقولة الزمن والضمير لينفصل من خلاله الحكمي، عن الخطاب. وقد أثار بنفسه بعمله هذا في كثير من الدراسات اللسانية الأدبية.

ومهما يكن من أمر، فالمقام ليس مقام التنظير لمصطلح الخطاب، وإنما نريد الأخذ بمفهوم إجرائي، يتماشى والنهج الذي سنسير عليه في هذا البحث، فالخطاب وإن كان له توتر وتشابك مع مفهوم النص، إلا أنه، ورغم كونه " قولاً ذا خصائص نصية لكنه في الآن نفسه يعد نشاطاً يجب أن يخصّص انطلاقاً من بعض شروط الإنتاج الموجّهة سياقياً"². إن الخطاب

¹ ميجان الرويلي وسعد البازعي. مرجع سابق. ص 155.
² هرمان باري: "الخطاب"، ترجمة محمد أسيداه. ص 88.

إذا " نص موجّه بسياق"¹ أو هو ارتباط النص بسياقه²، إلا أننا إذا استعملنا اصطلاح غريماس يقول هرمان باري (Herman Parret) ليس الخطاب نصا قوليا بل نصا مقاليا: فالمقال هو السياق الذي ينتج الخطاب³.

يعرّف بنفنست (Benveniste) الخطاب المنطوق انطلاقا من تحديد طرفيه والهدف منه حين يقول: "... [الخطاب] كل ملفوظ يفترض متحدّثا ومستمعا، ينوي الأوّل التأثير على الثاني بطريقة ما".

أما دومينيك مانغونو (Dominique Maingueneau) فيرى أن الخطاب يدخل ضمن التداولية، لأن هذه الأخيرة تهتم بالعملية التواصلية، والعلاقة التي تجمع بين أطرافها. وفي هذا السياق يضع مانغونو مجموعة من الخصائص⁴ والسمات للخطاب، يمكن أن تختصر فيما يلي: سمة المجتمعية⁵، التوجيهية⁶، الفعل والتأثير⁷، التفاعلية⁸، السياقية⁹ لذاتية¹⁰ التبريرية¹¹، والتبعية¹. إذن الخطاب هو نسق تفاعلي مفتوح على أسيقة مقامية متعددة: لغوية، اجتماعية، سياسية، ثقافية...

¹ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

² دومينيك مانغونو. مرجع سابق. ص40.

³ المرجع نفسه. ص 89.

⁴ ينظر نبيل موميد. مرجع سابق. ص 87.

⁵ ويقصد بها أن الخطابات - باعتبارها وحدات عبر-جملية (Transphrastique) تخضع للقواعد المعمول بها داخل مجتمع محدد. ينظر نبيل موميد. مرجع سابق. ص 88.

⁶ حيث يكون الخطاب موجّها، ليس فقط لأنه مشكل تبعا لوجهة نظر المتكلم، ولكن أيضا لأنه يتطوّر بشكل خطي في الزمان. ينظر: نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

⁷ حيث يعد فعل الك م شك من أشكال التأثير على الغير وليس فقط تمثّل للعالم. ينظر نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

⁸ يعد الخطاب نشاطا بيني يشرك شريكين بحيث يبرزان في الملفوظ من خلال الزوايا - أنت. ينظر: نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

⁹ لا يمكن أن يوجد خطاب إلا داخل سياق معيّن. ينظر: نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

¹⁰ لا يعتبر خطابا إلا إذا أُرِجِعَ إلى ذات، إلى أنا تمثّل في الآن مصدرا لتحديد الشخصية والزمانية، كذا تحديد موقفها إزاء مقولها ومخاطبها. ينظر نبيل موميد. مرجع سابق. ص89.

¹¹ حيث يخضع الخطاب لعدة معايير، مثلاً: طرح السؤال يقتضي جهل الجواب. ينظر نبيل موميد. مرجع سابق. ص

ومهما كانت النماذج التي تحاول تقديم مقارنة كافية للخطابية، فإنه يجب عليها أن تتصدى لخصائص الخطاب الآتية²:

1-الخطاب موسوم إشارياً: إنه تاريخي، بمعنى أن الذات القائلة محددة في الزمان والمكان، وخاضعة لتأثير القوى النفسية الاجتماعية التي تميزّ عصراً ما. (وهذا لا ينطبق على الخطاب القرآني).

2-يشف الخطاب عن مجموعة من الاطرادات، ولذلك فهو خاضع لقواعد منزلتها لا تزال تحتاج إلى تحديد...يتعلق [الأمر] بإستراتيجيات يجب أن تكون مقبولة تداولياً في جماعة مقالية، ثم زد على ذلك أن الاطرادات الخطابية متنافرة تتافر مختلف أنماط الأسيقة التي تولد الدلالة.

3-الخطاب الحوارى هو النموذج الأمثل لكل سمة خطابية، لذلك فإن كل خطاب يعد، من حيث المبدأ، تخاطباً، أو بعبارة أفضى: إن التخاطب سابق على الخطاب، لأن الخطابات وهي متفرقة ليست سوى عناصر تستعيد هويتها عند التخاطب، ولأن المعنى الخطابى مقيد وخاضع لتأثير وحدة المعنى الواسعة التي يمكن إسقاطها انطلاقاً من المقطع الذي يتعلّق به الأمر. حيث يحسب المعنى الخطابى انطلاقاً من معنى كل الخطابات التي تشتغل بوصفها أفقا للخطاب ذي الصلة.

4-العلاقة بين الخطابات علاقة ترجمة، لا تتال بسهولة بل تؤخذ غالباً وسجالاً (مقتضية بذلك إمكان تعدد التأويل والترجمات).

¹ حيث يتموقع الخطاب داخل عوالم خطابات أخرى يشق عبرها مساره الخاص. ينظر نبيل موميد. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

² هرمان بارى. مرجع سابق. ص 91.

5- إن هياكل المقال التي تتلبس الخطاب بسبب قيود التخاطب الحاسمة تعود في أصلها إلى الذاتية القائلة ولا تحضر البتة بشكل جوهري، بل يعاد بناؤها دائما نتيجة إثارة محفز، أي دونما ذات (بما هي أثر للخطاب) تماما كما لا يوجد تحليل للخطاب دونما إعادة بناء الشروط (الذاتية) لإنتاج الخطابات وفهمها.

6- كل ممارسة خطابية هي عملية ممارسة لسيميائية بينية : لذلك لا يوجد أي تنافر بين مختلف أنماط التوجيه السيميائي، فالتفاعل بين سيميائيتين متسقتين أو أكثر هو ما يميز أكثر من ممارسة ثقافية وفنية الأشد كثافة وتعقيدا.

7- رغم وجود علاقة تبعية بين المحيط أو السياق المؤد، والخطاب المؤد، فإنه لا يمكن فصل التخاطب ومكوناته عن ذلك المحيط، لأن التخاطب ليس نتيجة للأسيقة فقط، بل مقوما للتوجيه السياقي أيضا، فالخطابات تخلق بدورها أسيقة ومحيطات، وهذا معناه أنها غير منفعة بشكل صرف إزاء الأسيقة.

2- بنية الخطاب الإقناعي:

تصنّف الخطابات¹ حسب الآلية المشغلة، أو حسب مفهوم مراكز الضبط (Centres de contrôle)¹ إلى خطابات سردية، وخطابات وصفية

¹ هناك تصنيفان آخران، حسب احمد المتوكل، الأول حسب الموضوع، وتصنف الخطابات إلى: خطابات دينية، وخطابات علمية، وخطابات أيديولوجية... والثاني حسب البنية، وتصنّف الخطاب الفني (الإبداعي، الأدبي) إلى : قصة ورواية وقصيدة وشعر...، ينظر: احمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية؛ دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. ص25.

وخطابات حجاجية إقناعية. فمراكز الضبط في " الخطابات الوصفية هي، في معظمها، تصورات للشيء والموقف. وهي في الخطابات السردية تصورات الحدث والعمل. وهي في الخطابات الحجاجية الإقناعية قضايا كاملة تنسب إليها قيم صدق وأسباب لاعتقاد كونها حقائق. ويغلب أن يكون هناك تعارض بين القضايا التي تتصادم فيها القيمة لكونها موصوفة بالصدق"².

والخطاب الحجاجي الإقناعي ميدان ثري للدراسات المتنوعة، وذلك لغناه التكويني ولتعدد الأبعاد التي ينطوي عليها، ويمكن أن نلمس هذا من خلال تعريفه تعريفا مبسطاً؛ إذ إنّ " الحجاج ممارسة لفظية، اجتماعية، عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرر الدعوى المعبر عنها في الموقف، أو تدحضها"³.

ما يستشف من هذا التعريف، أن الحجاج جنس من الخطاب⁴ له أبعاد ثلاثة: بُعد سياقي، بُعد منطقي وبُعد لغوي، يقوم فيها، هذا الخطاب، على الادعاء والاعتراض (أو الدحض)، إذ يقترن قصدان معرفيان: في الخطاب الحجاجي الذي " يُبنى على قضية أو فرضية خلافية"⁵ " قصد الادعاء الذي يختص به المتكلم؛ حيث يعرض فيها دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً، قاصداً إلى

¹ محمد العبد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع". ص 3.

² روبرت دويجوراند: النص الخطاب والإجراء. ص ص 415-416.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري: "اليات الحجاج وأدواته". مقال ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الأول: حدود وتعريفات. ص 76. France.H Emeren, Van Grootendorst, A Systematic Theory of Argumentation, Cambridge University Press, 1st published, 2004, p1.

⁴ محمد العبد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع". ص 5.

⁵ محمد العبد: النص والخطاب والاتصال. ص 189.

إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية¹. ويجب أن يبرر الادعاء بمجموعة من القضايا التي تدعّمه. وهنا تظهر الكفاءة الحجاجية للإنسان في وضعياته التواصلية المختلفة.

وقصد الاعتراض الذي هو من حق المستمع، " كما أن الفهم لازم من لوازم الاعتراض، فلا يعترض إلا من فهم"²، فضلا عن أن الخطاب الحجاجي يستهدف به التوجه إلى الغير للإفهام.

وبهذا كان الحجاج وسيلة للتفكير والتواصل مع الآخر والتفاعل بين طرفين من طرفين جلب منافع أو دفع مضار أيضا. وهذا ما يمنح للخطاب الحجاجي أبعادا عملية.

ويقوم الخطاب الحجاجي في أبسط بنياته، على " دفعوع " وأن الدفع يمكن أن يكون " دفعا ابتدائيا " أو " دفعا إبطاليا "³. والدفع، سواء أكان ابتدائيا أم إبطاليا، ينقسم إلى ركنين أساسيين: " دعوى " و " حجة " (أو مجموعة حجج قد تكون مرتبة حسب قوتها الحجاجية)⁴.

وقد ذكر محمد العبد مكوّنات بنية النص الحجاجي، فأجملها في ستة وهي⁵: الدعوى (أو النتيجة)، والمقدّمات أو تقرير المعطيات، والتبرير، والدعامة، ومؤشر الحال، والتحفّظات أو الاحتياطات.

¹ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

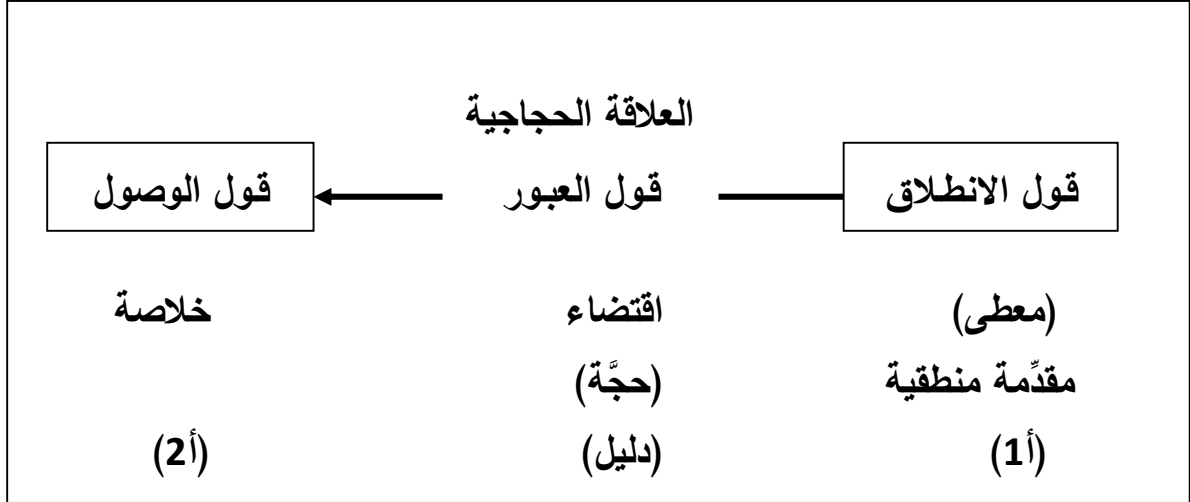
² المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية؛ دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. ص 24.

⁴ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁵ محمد العبد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع". ص5.

إن العلاقة الحجاجية تتكوّن على الأقل من ثلاثة عناصر¹: قول الانطلاق² (معطى) وقول الوصول³ (خلاصة، حاصل) وقول (أقول) العبور⁴ والذي يمكن من اجتياز قول إلى آخر (اقتضاء - دليل - حجة).



3- مفهوم الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني خطاب إلهي، مطلق ولا نهائي في دواله ومدلولاته
 چ ن ت ث د ج هـ له مرجعيات ثلاث، مرجعية الدال ويكون النص على

¹ باتريك شارودو: الحجاجية بين النظرية والأسلوب؛ عن كتاب نحو المعنى والمبنى. ص 21. تقول الانط (1أ): على غرار كل قول يشكّل قول الانط (ق) ما على العالم يتمثل في خلق كائنات وإسناد صفات إليها ووصفها من خلال أحداث أو وقائع: إن القول أيتشكّل في صيغة ملفوظ يتمثل معطى انط - ق موجّها على الحثّ على قبول قول آخر يقوم مقام المبرّر لذلك المعطى في حركة معاكسة. ينظر باتريك شارودو. مرجع سابق. ص 21.

² قول الوصول (2أ): يتمثل بالبنغي أن يقبل باعتباره ناتجاً عن قول الانط - ق 1 وعن الرابط الذي يصله به. إن هذا الرابط هو دوماً "رابط سببي". بما أن قول الوصول 2 يمكن أن يتمثل بسبب المقدمة أو المعطى (1 لأن 2) أو نتیجتها (1 إذن 2) إن هذا القول يمكن أن يسمّى خصة العلة الحجاجية. إنه يتمثل مشروعية الخبر. ينظر باتريك شارودو. مرجع سابق. ص 22.

³ قول العبور: لا يتم بطريقة اعتباطية الربط بين 1 و 2. إن هذا القول يتمثل كونا من الاعتقاد حول الطريقة التي تتحدّد بها الأفعال فيما بينها على مستوى التجربة أو معرفة العالم. فهذا الكون من الاعتقاد ينبغي إذن أن يكون قاسماً مشتركاً بين الأطراف المتحاورّة المنضوية تحت راية الحجاجية على نحو يظهر فيه دليل على ثبات الصلة التي توحد بين 1 و 2 والحجة التي قد ينبغي عليها، من وجهة نظر الفاعل، أن تحت الطرف المحاور أو المرسل إليه على قبول هذا الخبر باعتباره حقاً إن هذا القول، والذي غالباً ما يكون مسكوتاً عنه أو مضمراً يمكن أن يسمّى دليلي واقتضاء أو حجة حسب إطار الإشكالية الذي يندر ضمنه. ينظر باتريك شارودو. مرجع سابق. ص 22.

⁴ الشوري: 11.

مثال مرسله، ومرجعية المدلول ويكون النص على مثال مثلثه وهناك أخيراً، ومرجعية النص نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالقاً لزمانه الخاص مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمة القراءة في كل ذلك، أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته.

وفي تعريف آخر يميّز بينه وبين الخطابات الأخرى من حيث شكله، بؤرته وحدوده ومصدريته، فيعرّف بأنه " نص مكتوب، ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة، ليست له بؤرة مركزية، وهو بلا بداية أو نهاية، يقبل تأويلات لا حصر لها " نوات طاقة رمزية مطلقة، الإحالة المرجعية في النص القرآني على النص نفسه، وحقوق طبع النص القرآني غير محفوظة لأحد"¹.

فلا يمكن المقارنة بين الخطاب القرآني وبين الخطابات الأخرى؛ أدبية، علمية، سياسية، تاريخية،... ولا يمكن قياسه بأي كلام آخر؛ فالاختلافات بيّنة وإن كان الخطاب القرآني يجري على سنن اللغة الطبيعية². فلا يمكن تصنيف الخطاب القرآني لأنه لا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة. وأما بؤرته المركزية، فلا يتضمن بؤرة واحدة بل بؤراً لا نهاية لها. وأما من حيث البداية والنهاية، فهذه فاتحة ولكن ليست له بداية أو نهاية بالمعنى المألوف. ومن حيث التأويل، فيحظى بتأويلات لا نهاية لها. ومن حيث المصدرية، فالهيته تجعله يختلف عن الخطابات الإنسانية.

¹ شكري عزيز ماضي: من إشكاليات النقد العربي الجديد. ص 174.

² عشراتي سليمان: المعنى القرآني في رسائل النور للنورسي. ص 51. في: بدیع الزمان النورسي: رسائل النور؛ الكلمات: الكلمة الخامسة والعشرون. ص 500.

ويعدُّ القرآن الكريم مركزاً وما دونه هوامش، حيث يعد النص الذي أثار نشاطاً فكرياً ولغوياً عند العرب¹ والمسلمين² مما جعل كل الدراسات تتجه نحوه، حيث أصبح مركز³ الثقافة العربية الإسلامية. يحاور الأنساق المعرفية ويجادل التعاليم المتوارثة عن الأجداد ويسائل الثوابت العقدية لدى العرب، "إنما كان يبني سياق فعله الخاص ويرسم موقع وجوده المفرد في فضاء ذي مرجعيات وسنن"⁴.

وقدّم طه عبد الرحمن نظرتَه وقراءته للقرآن الكريم، وكيف يجب أن ننظر إليه، يقول "إنَّه النص الديني الخاتم، والنص الخاتم يمتد زمنه إلى ما بعد زمن نزوله، حتى إن كل زمن يليه يكون زمنه؛ فيتعيَّن أن نبحت في الآيات القرآنية، لا عن علامات الماضي، حتى نوقف صلاحيتها على هذه العلامات، واقعين في تاريخية ماضوية، وإنما أن نبحت فيها على علامات الحاضر، حتى نستمد منها معالم الاهتداء في الحياة الآتية، صانعين لتاريخية مستقبلية؛ فلا بد للنص الخاتم أن يكون نصاً راهنياً، وأن تكون راهنيته راهنية دائمة؛ أضف إلى هذا أن القرآن اختص بقيم أخلاقية وروحية عليا؛ والقيم لا ينال منها توالي الزمن كما ينال من الوقائع، بل القيم ما تنال من الزمن ولا ينال منها، ذلك لأن إرادة تطبيق هذه القيم تكون هي السبب في صنع التاريخ، أو على الأقل، لأن التعلُّق بها يكون سبباً في اتخاذ

¹ لقد نشأ النص القرآني في بيئة شفوية أجتالك م ومجّدت فعله، كما نشأ في تقاليد قبلي له أنظمتَه الاعتقادية ومراسمه الاقتصادية وضوابطه الاجتماعية. ينظر علي الشبعان؛ الحجاً والحقيقة وأفاق التأويل؛ بحث في الأشكال والاستراتيجيات. ص 52.

² بدأ الخطاب القرآني يسري في البيئة العربية سريان تحويل وتبديل، فبعد أن كان طارئاً غدا متمكناً يوجّه العقل الإس م سلوكوعم ، اعتقاداً ونظراً إلى العالم. ينظر علي الشبعان. مرجع سابق. ص 54.

³ تحوّل القرآن الكريم من " نص " شفوي يبلغه محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن يتلقاه من " لافظ وسيط " هو جبريل، يبسطه على أفراد الأمة وفاعليها يحفظونه ويروّجونه، إلى " صحف " مكتوب يكون فيما بعد آية من آيات التوحيد العقدي والتشريعي والسياسي تستهدي بتعاليمه الدولة لإس مية، فتعمل بأوامره وتجانب نواهيها. ينظر: علي الشبعان. مرجع سابق. الصفحة نفسها.

⁴ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

بحقيقة أن الله اختار العربية¹ من بين كل اللغات الثقافية في ذلك العصر، عمدا لا اتفاقا، لكي تكون أداة الكلام الإلهي، كما يؤكّد القرآن في مواضع عدة². ويختلف " الاستخدام الإلهي للمادة اللغوية، ولأي مادة في الكون، ... نوعيا عن الاستخدام البشري مع وحدة خصائص المادة [اللغوية] "³؛ والاستخدام القرآني للغة العربية يتم " وفق مستوى الإلهي يقوم على الإحكام المطلق "⁴. ويتجلى هذا التداخل في يان المقول الإلهي " على السنن العربي، في أعلى تظاهراته البيانية "⁵. لكنه في الآن ذاته " لا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية، أو إبداعية، بشرية محددة "⁶ وذلك راجع إلى مصدرية.

- تثبت نظرية التواصل الحديثة أن الخطاب القرآني " جاء مكلّما، متوجّها إلى أصناف متعدّدة متباعدة من المخاطبين... [المصطفين]... خلف العصور، ويرشدهم جميعا، فلا بدّ أنه يدرج معاني عدّة لتلائم مختلف الأفهام، ويضع أمارات على إرادته هذه⁷... هذه⁷... بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب وحده بالأصالة⁸... وكل بالأصالة⁸... وكل فرد ينال حصّة على قدر ملكاته واستعداداته... "⁹

5- إقناعية الخطاب القرآني :

¹ إن القرآن يؤسس تصوره للوحي والرسالة النبوية على فكرة اللغة. فهو يبدأ من إدراك حقيقة أن لكل قوم لغتهم، ويعلق أهمية عظيمة على هذه الحقيقة في ما يتعلق بظاهرة الرسالة النبوية، لذا نقرأ في سورة إبراهيم: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) سورة إبراهيم: 4 وليس ثمة تفاهم واف، أعني تواصل - ممكنا، إذا لم يكن ثمة لغة مشتركة. ينظر: توشيهيكو إيزوتسو. مرجع سابق. ص 289.

² توشيهيكو إيزوتسو. مرجع سابق. ص 241.

³ محمد أبو القاسم حيا - حمد : منهجية القرآن المعرفية؛ أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية. ص 97.

⁴ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁵ سليمان عشراي: الخطاب القرآني؛ مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي. ص 183.

⁶ المرجع نفسه. ص 3.

⁷ عشراي سليمان: المعنى القرآني في رسائل النور. ص 33. في: بديع الزمان النورسي. مرجع سابق. ص 456.

⁸ المرجع نفسه. الصفحة نفسها. في بديع الزمان النورسي. مرجع سابق. ص 482.

⁹ المرجع نفسه. ص 32.

في الآية لغير معين، وقد يكون للرسول.. وعلى الاعتبار الأول يكون الخطاب بهذا الضمير شبيها بخطاب الناس في صيغة " يا أيها الناس " وهو كثير أكثره مكي، ويجمع بين فئتي الكافرين المؤمنين على وجه الإطلاق¹.

أما النوع الآخر من المخاطبين فواقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه. ولكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن. وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم. إنه بعبارة الحجاجيين " الجمهور الكوني " الذي رأيناه عند بيرلمان وتيتيكاه، معنيا بالحجاج من خلال الجمهور الضيق أو الخاص. والخطاب في ذلك كله أنواع، فهو حسب الزركشي: " خطاب تهيج وإغصاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف " وغير ذلك².

والقرآن فضلا عن كونه خطابا موجها إلى متلقٍ فعليٍّ أو محتمل، مسرح على ركحه تتحاور الذوات وتتجادل ويحاج بعضها بعضا. فهو تكثر فيه بصفة لافتة للانتباه، حكاية أقوال الكافرين والرد عليها (صيغة يقولون/ قل وغيرها)، كما تكثر فيه حكاية أقوال المتخاصمين والمتخاطبين على اختلاف أنواعهم. وعموما تمثل مشتقات مادة (ق.و. .) سواء كانت في سياق حكاية القول مجردا، أو حكاية القول والرد عليه، أعلى نسبة تواتر في القرآن (حوالي 1730 مرة) بعد نسبة التواتر الخاصة باسم الجلالة³.

- أهداف وغايات الخطاب القرآني:

¹ عبد الله صولة. مرجع سابق. ص 45.

² المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ عبد الله صولة. مرجع سابق. ص ص 45-46.

وفي هذا السياق يعتبر، ابن عاشور، غاية القرآن الكبرى هي " إصلاح الأمة بأسرها ". فالخطاب القرآني يخاطب الكافر كما يخاطب المؤمن " فإصلاح كفّارها بدعوتهم إلى الإيمان... وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طرق النجاح وتزكية نفوسهم"¹.

ب- □ لمعضلة

يقدم القرآن نفسه على أنه **لمعضلة** صدت في البحث عن حلّها العقول. وتنازع بسببها أهل الكتاب الرأي واختلفوا، فجاء القرآن لهم بالقول الفصل في معظم ما هم فيه يختلفون² :
چ³.

ج- الحجاج بدي فعّال عن العنف

يعدّ الحجاج البديّ الفعّال عن العنف والذي تعوّل عليه نظرية الحجاج الجديدة عند بيرلمان وتيتيكاه؛ إذ يرى هذان الباحثان أن السعي لتحقيق نتيجة معيّنة يكون باعتماد إحدى وسيلتين: **العنف** أو **الخطاب المقنع**: وما ينجم عن كل وسيلة يجعل التفرقة سهلة بين حرية المعتقد والإكراه⁴. وفي هذا المقام نقول: أن الخطاب القرآني، وهو خطاب حجاجي إضافة إلى كونه حوارا، يقوم - في دعواه - على منهج رصين محكم، يتجلى في آيات كثيرة، هو منهج الدعوة إلى الله، أي إلى توحيد الله، في قوله تعالى: چي

¹ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. الجزء الأول. ص 81.

² عبد الله صولة. مرجع سابق. ص 47.

³ النمل: 76.

⁴ عبد الله صولة. مرجع سابق. ص 47. بتصرف

وانطلاقاً من تسمية هذا المبدأ نلاحظ وجوب التعاون بين المتكلم والمخاطب على تحقيق الغرض من الخطاب، وما يساعد على ذلك ما حدّده غرايس من مبادئ فرعية¹:

1- مبدأ الكم، وقاعدته:

- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

2- مبدأ الكيف، وقاعدته:

- لا تقل ما تعلم كذبه.
- لا تقل ما ليست لك عليه بيّنة.

3- مبدأ المناسبة:

- ليناسب مقالك مقامك.

4- مبدأ الجهة، وقواعده:

- لتحترز من الالتباس.
- لتحترز من الإجمال.
- لتتكلم بإيجاز
- لترتب كلامك.

¹ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 238.

وما يعترض على هذه القواعد التخاطبية الغرايسية اقتصارها على الجانب التبليغي، وإغفالها للجانب التهذيبي التأدبي¹.

وإذا كان التخاطب لا يبنى على مبدأ التعاون (الجانب التبليغي) فحسب، بل لا بد له من مبدأ تداولي ثان هو مبدأ "التأدب". وهذا ما أوردته "روبين لاكوف" (Robin LAKOFF) في مقالتها الموسومة بـ "منطق التأدب".

وقد صاغت لاكوف في شكل مبدأ عام، وقواعد فرعية تنبثق عنه

:

المبدأ العام :

- لتكن مؤدباً².

وهو مبدأ يضبط قواعد التهذيب دون الإخلال بضوابط التبليغ.

القواعد المتفرعة عن مبدأ التأدب³ :

1- قاعدة التعقّف، ومقتضاها:

- لا تفرض نفسك على المخاطب⁴.

2- قاعدة التشكُّك، ومقتضاها:

- لتجعل المخاطب يختار بنفسه¹.

¹ ذكر طه عبد الرحمن ثلاثة أسباب لعدم اهتمام غرايس بالجانب التهذيبي في التخاطب، نجلها فيما يلي :

1- أنه ذكره في جملة حديثه عن الجوانب الاجتماعية التجميلية في التخاطب.

2- أنه أغفل ذكر كيفية مباشرة هذه القواعد التهذيبيّة، ولا كيف ترتب مع القواعد التبليغيّة.

3- أن غرايس لم يتفطن إلى إمكانية كون الجانب التهذيبي أصل في خرو العبارات عن المعاني الحقيقيّة أو المباشرة.

ينظر طه عبد الرحمن. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 239.

² طه عبد الرحمن. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 240.

³ المرجع نفسه. ص ص 240-241. يمكن العودة إلى الكتاب لأكثر تفاصيل.

⁴ أي أن يجعل المتكلم بينه وبين المخاطب مسافة تحفظ لهما المكاشفة في الأحوال الداخليّة. لذا يحترز المتكلم في انتقاء العبارات، فيتّ في أفعال القلوب، والأفعال المكروهة من قبل المخاطب، وإذا كاشفه استأذن قبل واعتذر بعدا.

3- قاعدة التودد، ومقتضاها:

- لتظهر الود للمخاطب².

وما يعترض على مبدأ التأدب وما يتفرع عنه من قواعد، ذكره طه عبد الرحمن، ومجمل ما قاله أن العمل بهذه القواعد مجملة غير ممكن، حيث يمكن العمل بواحدة أو اثنتين والاستغناء عن الثالثة " فحيث تصلح قادة التودد، فقد لا تصلح قاعدة التشكك..."³. وأن هذه القواعد قد تتعارض مع قواعد التعاون عند غرايس. فيمكن أن توضع هذه القواعد تحت قاعدة التعقّف.

وما يعترض على مبدأ التأدب عند روبين لاكوف اقتصاره على الجانب التجريدي من التهذيب المقوم للتخاطب، وإغفاله لجانبي العمل والإصلاح، أي ما ينتج عن التهذيب والتأدب. ويظهر هذا الأثر في المبدأ الذي وضعه براون وليفنسن في دراستهما المشتركة " الكليات في الاستعمال اللغوي : ظاهرة التأدب"، ويسمى هذا المبدأ ب: مبدأ التواجه واعتبار العمل. ويتكوّن من وجه وخطة؛ فالوجه عبارة عن الإرادات الأساسية أو المقاصد التي يسعى طرفا عملية التخاطب إلى تحقيقها (رغبات دفع الاعتراض ورغبات جلب الاعتراف).

والخطة عبارة عن المسلك أو المسار المناسب الذي يختاره طرفا عملية التخاطب لتنفيذ هذه الإرادات وتحقيق هذه المقاصد. فيحتاج هذان الطرفان (المتكلم والمخاطب) " إلى الاستدلال بالمقاصد [الوجه الدافع والوجه

¹ أي أن يتترك المتكلم للمخاطب المبادرة في اتخاذ القرارات، فيتجنّب الأساليب التقريرية المباشرة. ويأخذ بالأساليب الاستفهامية كما لو كان متشككا في مقاصده. من قبيل: " قد يكون من المفيد لك ترك التدخين ".
وتتحقق هذه القاعدة في حالتين وهما أن يكون المتكلم أعلى مرتبة من المخاطب أو مساويا له؛ إذ الهدف من هذه الندية في التخاطب تحقيق الأُنس والأطمئنان لدى المخاطب. يجب فيستعمل المتكلم كل ما يقوّي علاقة التضامن والصدّاقة من قبيل ضمير المخاطب ب الاسم والكنية واللقب.
³ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 242.

الجالب] على الوسائل [الخطط التخاطبية] الكفيلة بتحقيقها، كما يحتاج إلى الموازنة بين مختلف الوسائل حتى يتخير أفضلها¹ تحقيقاً لهذه المقاصد². وصيغة هذا المبدأ:

- لتصن وجه غيرك³.

ويتكوّن هذا المبدأ من مفهومين أساسيين هما : مفهوم الوجه ومفهوم التهديد، فأما الوجه ففيه وجه دافع ووجه جالب أو إن شئت قلت وجه سالب ووجه جالب على حد قول طه عبد الرحمن، ففي المخاطبة يتوَحَّى المتكلم حفظ ماء وجهه ووجه مخاطبه. وأما التهديد فيحدث في الأقوال التي تنزل في التداولية منزلة الأفعال؛ إذ تهدد بطبيعتها إرادة المتكلم أو المخاطب.

ويتفرّع على هذا المبدأ، خطط تخاطبية، حدّدها " براون " و "ليفنسن " يختار منها المتكلم ما يراه مناسباً لقوله ذي الصبغة التهديدية⁴:

1- أن يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدّد.

2- أن يصرّح بالقول المهدّد من غير تعديل يخفّف من جانبه التهديدي.

3- أن يصرّح بالقول المهدّد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الدافع.

¹ ضرب طه عبد الرحمن مثالا لهذه الخطط، بما يلي: المثال يطلب إغـ ق النافذة. وأعطى خيارات للمتكلم إزاء مخاطبه.

1- فقد يمتنع المتكلم عن أن يطلب إغـ ق النافذة، لأن في هذا الطلب مخاطرة تضرُّ به أو تضرُّ بالمستمع.
2- قد يطلب المتكلم من المستمع إغـ ق النافذة دونما استعانة بصيغة تلطف من الأثر التهديدي لهذا الطلب، كما إذا قال : أطلب منك أن تغلق النافذة.

3- قد يطلب المتكلم من المستمع إغـ ق النافذة مع التوسل بصيغة تحفظ الوجه الدافع لهذا المستمع، كأن يقول: هل لك أن تغلق النافذة؟

4- قد يطلب المتكلم من المستمع إغـ ق النافذة مع التوسل بصيغة تحفظ الوجه الجالب لهذا المستمع، كما إذا قال: ألسنت تبادر إلى إغـ ق النافذة كلما تعرّضنا لمجرى الهواء؟

5- قد يطلب المتكلم من المستمع إغـ ق النافذة بطريق التعريض، كأن يقولنّ الجلس في مجرى الهواء مؤذٍ إيذاءً ، تاركاً لمخاطبه استنباط المعنى المقصود بنفسه. ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 244.

² المرجع نفسه. ص 245.

³ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 243.

⁴ المرجع نفسه. ص 244.

4- أن يصرّح بالقول المهدّد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب.

5- أن يؤدي القول بطريق التعريض، تاركاً للمستمع أن يتخيّر أحد معانيه المحتملة.

وتظهر قيمة مبدأ التواجه عند براون وليفنسن، في أخذه بمبدأي التعاون والتأدّب؛ حيث إنه " يأخذ بالدلالة العملية لعنصر التهذيب...فضلاً عن أخذه بعنصر التبليغ"¹.

ولكن ما يعاب على هذا المبدأ - حسب طه عبد الرحمن - هو جعله للتهديد أصلاً في الدخول في عملية التخاطب وسمة مميزة فيها، ويجعل " جميع الأقوال حاملة للتهديد، إما بالذات وإما بالعرض"²، فيحصر العمل المقوم للتهذيب في وظيفة التقليل من التهديد فحسب، ولكن التهذيب أوسع من ذلك بكثير؛ إذ تحتاج عملية التخاطب بطريقة أو أخرى إلى أدب المتكلم والمخاطب، سواء أكان القول مهدّداً أم لم يكن كذلك.

وهذا ما يجعل هذا المبدأ لا يقصد التقرب من الغير، بقدر ما يقصد إلى التحوُّط من التهديد. وما تحتاجه عملية التخاطب لتحقيق التواصل الإنساني هو تحقيق الأنا والآخر. وهذا لا يتحقق إلا مع وجود التأمين. وإذن، ورغم أهمية مبدأ التواجه واعتبار العمل إلا أننا نحتاج إلى مبدأ آخر يتقصد تحقيق التقرب.

¹ طه عبد الرحمن. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 245.
² المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

وقد سعى ليتش (Geoffrey LEECH) إلى تحقيق التقرب بين المتخاطبين، من خلا لصياغته لمبدأ أسماه : مبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقرب، وهو رابع مبدأ تداولي، يعدُّ مكملاً لما سبقه من مبادئ، وصيغته¹:

- قلل من الكلام غير المؤدب (صورة سلبية).

- أكثر من الكلام المؤدب (صورة إيجابية).

ويقسّم ليتش هذا المبدأ إلى قواعد تحمل كل قاعدة صورتان، الأولى سلبية والأخرى إيجابية، ويركّز على قاعدة اللباقة، حيث تعدُّ السبب الرئيس في استعمال التعبيرات غير المباشرة، كما سنرى في المثال، وهذه القواعد مرتبة كما يلي²:

1- قاعدة اللباقة:

- قلل من خسارة الغير.

- أكثر من ربح الغير.

2- قاعدة السخاء :

- قلل من ربح الذات.

- أكثر من خسارة الذات.

3- قاعدة الاستحسان :

- قلل من ذم الغير.

¹ المرجع نفسه. ص 246.

² طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص ص 246-247.

- أكثر من مدح الغير.

4- قاعدة التواضع:

- قلل من مدح الذات.

- أكثر من ذم الذات.

5- قاعدة الاتفاق:

- قلل من اختلاف الذات والغير.

- أكثر من اتفاق الذات والغير.

6- قاعدة التعاطف :

- قلل من تنافر الذات والغير.

- أكثر من تعاطف الذات والغير.

وما يعاب على هذا المبدأ التداولي الليتشي، إن صح هذا التعبير، أن التقرب الذي يدعو إليه ليتش " يشوبه الميل إلى التظاهر والنزعة إلى الغرضية بمقتضى أمرين : أحدهما الخاصية اللاتناظرية لمفهوم التأدب الأقصى؛ والثاني، خاصية الربح والخسارة لمفهوم اللباقة والسخاء"¹.

ففي الخاصية اللاتناظرية، نلاحظ اختلاف مفهوم التأدب بالنسبة لطرفي عملية التخاطب، مما يجعله محل تنازع بينهما، لأن طرفاً واحداً فقط سينتفع به، فلا يمكن أن يوصف بالتأدب الصادق لعدم حصص الانتفاع به لدى المتخاطبين معاً.

¹ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 248.

وفي خاصية الربح والخسارة، فإن التصور الذي قدّمه ليتش للأق " يجعل من العمل التهذيبي للتخاطب عملاً أشبه بالمعاملة التجارية منه بالتعامل الأخلاقي"¹. وعلاقة المتكلم بالمخاطب هي علاقة خدمية أو مصلحة كعلاقة الدائن بالمدين. فلا يعد هذا عملاً تهذيبياً خالصاً متى ما غابت القيم والمعايير المعنوية.

ورغم أهمية هذا المبدأ، مبدأ التأدّب الأقصى واعتبار التقرب، إلا أنه يقوم على " النّظاھر وتحصیل الأغراض"². فوجب البحث عن مبدأ آخر يحقق الصدقية بعيداً عن التظاهر، والإخلاص بعيداً عن الغرضية.

وهذا ما حقّقه طه عبد الرحمن، في المبدأ الموسوم: مبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص، ويجد هذا المبدأ جذوره في التراث العربي الإسلامي في أقوال كثيرة، منها: مطابقة القول للفعل، وتصديق العمل للكلام.

وصاغ طه عبد الرحمن هذا المبدأ، كما يلي:

- لا تقل لغيرك قولاً لا يصدّقه فعلك.

ومن هذا المبدأ ينبثق عنصران يكونان عملية التخاطب، وهما الجانب التبليغي والجانب التهذيبي، فالجانب الأول أسماه، طه عبد الرحمن، بـ " نقل القول"، والثاني أسماه بـ " تطبيق القول".

ووضع طه عبد الرحمن فروعاً هي بمثابة القواعد لتحقيق مبدأ التصديق في جانبه التواصلية التبليغي³ استقاهما، مما ذكره الماوردي في كتابه " أدب الدنيا والدين"، وهي¹:

¹ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 248.

² المرجع نفسه. ص 249.

³ تلتقي هذه القواعد مع القواعد الجامعة لمبدأ التعاون عند غرايس، إلا قاعدة واحدة هي قاعدة الكيف (أو قاعدة الصدق).

1- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

2- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوَحَّى به إصابة فرصته.

3- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

4- يجب أن يتخيَّر اللفظ الذي به يتكلم.

وفرَّع قواعد ثلاث لتحقيق مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي استقرأها من التراث العربي الإسلامي، وهي²:

1- قاعدة القصد:

- لتتفقد قصدك في كل قول تُلقِي به إلى الغير.

2- قاعدة الصدق:

- لتكن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك.

3- قاعدة الإخلاص:

- لتكن في توَدُّدك للغير متجرِّداً عن أغراضك

وتلتقي هذه القواعد مع مبدأي التأدُّب والتواجه، في بعض النقاط، مع

تفوقها عليهما في الكثير من النقاط، منها :

- القاعدة الأولى: يتقابل مبدأ التعاون عند غرايس، حيث يشترط تحديد الهدف من التخاطب، وإذا خد منه عدُّ هُجراً أو هذياناً باصط ح الماوردي.
- القاعدة الثانية: يتقابل قاعدة العفة عند غرايس، حيث يُكتفى في الخبر بضروريه، فـ يزيد ولا ينقص، فإذا زيد سُمِّي هذراً، وإن أنقص سُمِّي حصراً باصط ح الماوردي.
- القاعدة الرابعة: وتقابل قاعدة الجهة عند غرايس، حيث يشترط في الخطاب مراعاة صحة المعاني وفصاحة الألفاظ ووضوح الأسلوب، فإذا خرد الخطاب عنت هذه الشروط كان مختل المعنى مستغلق الألفاظ. ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 250.

¹ المرجع نفسه. ص 249.

² المرجع نفسه. ص 250.

- ربطها بين الجانبين التبليغي والتهذيبي، وإمكانية خروج القول عن الدلالة الظاهرة، في قاعدة القصد.

- ربطها، في قاعدة الصدق، بين مستويات ثلاثة في الصدق: **الصدق في الخبر: الصدق في العمل ومطابقة القول للفعل.**

- تحقق قاعدة الإخلاص تقرُّبا صادقا وخالصا لأنها تنبني على التنافس في التجرد والتخلق.

يحقق مبدأ التصديق ارتقاء للجانب التهذيبي من عملية التخاطب؛ إذ يُخرِجه من دائرة التأدب الاجتماعي، الذي يتقصّد المجاملة والكياسة والمداراة، إلى دائرة التخلق المخلص، الذي ينشد الكمال في السلوك¹.

¹ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 253. بتصرف.

تمهيد:

المقصود بالإقناع في الخطاب القرآني " العملية التي بها يؤثّر الخطاب الإلهي في النفس الإنسانية على اختلاف مشاربيها، وتفاوت طبائعها، وتعاقب أجيالها، ويحملها على الرضا والعمل بهداية الدين وتشريعاته"¹. وهو أيضا " السبيل التي سلكها القرآن الكريم في استقطابه الناس نحو الدين الحق الذي جاء به، وهو العقيدة الإسلامية "². وتتجلى دعوى³ القرآن الكريم، للاقتناع بما جاء فيه، في مظهرين:

- فهي دعوى لاعتناق الجديد من الآراء والمعتقدات التي تشتمل عليها الدعوة الإسلامية.

- ودعوى لرفض الموارد الثقافية التي تتعارض مع الدعوة الجديدة، والتي أعلن القرآن الكريم أنها غير صالحة للحياة لما فيها من باطل، وما فيها من فساد، يعود على الناس بالضرر⁴.

وهذا ما يؤكده الخطاب القرآني، في سورة الشعراء (مدوّنة هذا البحث) وفي جميع السد يكون الاقتناع هدف كل العمليات التي يقوم بها في عقول الناس وقلوبهم. لتأكيد الجديد في العقول والقلوب، ويهزم القديم في أنفس الناس⁵.

¹ بن عيسى باطاهر. مرجع سابق. ص 22.

² محمد احمد خلف الله: مفاهيم قرآنية، ص 117.

³ الدعوى عند أهل المناظرة قضية تشتمل على الحكم المقصود إثباته بالدليل وإظهاره بالتنبيه، والقاصد والمتصدى لذلك، أي إثبات الحكم وإظهاره، يسمى مدّعيًا. ثم يذكر أن الدعوى من حيث إنها تستفاد من الدليل نتيجة، ومن حيث إنها يقام عليها دليل مدعى، ومن حيث إنها تتحمل الصدق والكذب تسمى قضية وخبرًا، ومن حيث إنها إخبار عن الواقع حكاية، ومن حيث إنها قد تكون كلبًا قاعدة وقانونًا. والفائدة من الدعوى تكمن في تحديد المجال الذي يتحرك فيه الفكر، إذ إن المدعى عندما يقدم دعواه يكون بذلك قد حدد القضية التي ستكون موضع الأخذ والرد، ومساق الدليل والحجة، والسؤال والجواب. ينظر: إدريس حمادي: "الحجة في الاستعمال القرآني؛ إبراهيم وقومه نموذجًا". مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. ص 172.

⁴ محمد احمد خلف الله. مرجع سابق. ص 117. يتصرف

⁵ هزم القديم ليس لعله قدمه وإنما لفساده وبطلانه.

منتهاجا في دعوته الحوار والجدل والتي هي أحسن ورفض كل قسر وإكراه، تجيء بهما القوّة، أو الإلجاء تأتي به المعجزات¹..

أمّا عن سورة "الشعراء"² (مدوّنة البحث) فهي مكّية، بعد الحروف المقطّعة المعجزة بموضوع القرآن العظيم والهدف من إنزاله وهو تحقيق هداية المخاطبين (الجمهور الكوني)) وذلك بإقناعهم ودفعهم للعمل بما يدعو إليه المتكلم الأول (الله عزّ وجلّ). وقد ذكرت النتيجة في مستهل السورة، وهو حال أغلب سور القرآن الكريم، وفي سورة الشعراء كان موقف الكفار والمشركين المعاندين منه، تكذيبهم بالقرآن: عدم اقتناعهم بما جاء فيه وبما جاء به، وعنادهم واستكبارهم مع وضوح آياته، وسطوع براهينه.

سنحاول في هذا الفصل التطبيقي الاعتماد على آيات عديدة منها: الآيات اللغوية والبلاغية وشبه المنطقية. لتتبع منهجية الخطاب القرآني، ممثلا في سورة الشعراء، في الإقناع لإحداث الأثر الإيجابي لدى المخاطبين، وذلك بجعلهم يقتنعون بهذا الخطاب ويجسّدونه في مختلف سلوكياتهم ومواقفهم.

آيات الإقناع في سورة الشعراء

المبحث الأوّ : الآيات اللغوية

¹ محمد احمد خلف الله. مرجع سابق. ص 117.
² اشتهرت عند السلف بسورة الشعراء لأنها تفرّدت - من بين سور القرآن- بذكر كلمة الشعراء، وكذلك جاءت تسميتها في كتب السنة. وتسمى أيضا سورة طسم، وفي أحكام ابن العربي أنها تسمى أيضا الجامعة، .. ولعلها أول سورة جمعت ذكر الرسل أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية. ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، المجلد الثامن، الجزء الثامن عشر. ص 89.

يعتقد أوزفالد ديكر (O.Ducrot) أننا نتكلم عامّة بقصد التأثير¹، وهذا التأثير والحمل على الإذعان والاقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات، إنما يحصل " بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم"² كون " اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية"³، أي في بنية الأقوال اللغوية.

وتعدّ الآليات اللغوية في كل خطاب، وفي الخطاب القرآني، من الوسائل الأفضل لتحقيق الإقناع، والتصديق بما جاء فيه.

ويمكننا أن نميّز بين عدد من الآليات اللغوية التي يمكن أن تسهم بشكل فعّال في عملية الإقناع، لعلّ من أهمها⁴:

1- أَلْفَاظ التعليل:

يستعمل المتكلم أَلْفَاظ التعليل إذا أراد أن يحاجج ويقنع متلقيه بما يعرضه عليه، ونذكر، على سبيل المثال، بعضاً من هذه الألفاظ⁵: **المفعول لأجله**: وكلمة **السبب**، ولأن؛ ولا يستعمل المتكلم أي أداة من هذه الأدوات، إلا تبريراً أو تعليلاً لفعله، بناء على سؤال ملفوظ به من قبل المخاطب أو مفترض.

وسنكتفي في هذا السياق بالتعريف بالأداة التي وردت في سورة الشعراء، وهي

المفعول لأجله.

- المفعول لأجله:

يتحقّق المفعول لأجله بوجود شروط أربعة⁶:

¹ أبو بكر العزّاوي: "الحجاج في اللغة". الجزء الأول؛ الحجاج: حدود وتعريفات. ص 56.

² المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ أبو بكر العزّاوي: "الحجاج والمعنى الحجاجي"، ص 55.

⁴ وردت بعض هذه الآليات في كتاب: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، ص 230 وما بعدها.

⁵ ذكر عبد الهادي بن ظافر الشهري هذه الألفاظ. ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية. ص 478.

⁶ عباس حسن: النحو الوافي. الجزء الثاني. ص 237.

2. المثال الثاني: چ گ گ س س س ط ط چ¹.

كانت رسالة إبراهيم (عليه السلام) لقومه قائمة على " دعامة الفطرة في العقل والعمل، أي في الاعتقاد والتشريع"² وفي هذا مماثلة لرسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ قدّم إبراهيم (عليه السلام) " دليلاً عقلياً على انتفاء إلهية الأصنام"³ وأنها ليست " من استحقاق العبادة في شيء"⁴.

ومحلُّ الشاهد في هذا المثال مفردة "عاكفين"، وهي اسم فاعل جاء على وزن فاعل.

جاءت إجابة قوم إبراهيم بناء على سد) " فهموا أنه استفسار غير إنكار⁵ من من إبراهيم (عليه السلام)، فقالوا بأنهم يطيلون الإقامة عند أصنامهم بالنهار دون الليل⁶. يقول صاحب التحرير والتنوير أنهم عدلوا عن سنّة الجواب إلى تكرير الفعل الفعل الواقع في السؤال ابتهاجا وافتخارا به، فزادوا على فعل العبادة تأكيداً بقولهم چ س ط ط چ⁷.

وتقتضي هذه السنّة أن يكون جوابهم عن سؤال إبراهيم (عليه السلام) چ گ گ چ⁸ أن يقولوا أصناماً " فلا حاجة إلى تعيين جنس المعبودات"⁹ كما في قوله تعالى چ¹⁰.

ج- اسم المفعول:

يعرّف اسم المفعول بأنه: " اسم مشتق، يدلُّ على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدلَّ على الأمرين معاً"¹¹. ويصنّف في

¹ الشعراء: 71.

² ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. الجزء التاسع عشر. ص 137.

³ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁴ الرازي، فخر الدين. مرجع سابق. ص 142.

⁵ ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. الجزء التاسع عشر. ص 138.

⁶ الرازي، فخر الدين. مرجع سابق. ص 142.

⁷ ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. الجزء التاسع عشر. ص 139.

⁸ الشعراء: 70.

⁹ ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. الجزء التاسع عشر. ص 139.

¹⁰ البقرة: 219.

¹¹ عباس حسن: النحو الوافي. الجزء الثالث. ص 271.

موسى عليه السلام مراعية للتدرّج ولمستوى المتخاطبين بل وشاملة لكل المخاطبين العالم منهم والجاه .

وبعد، فالحجج التي قدّمها موسى عليه السلام كانت من القوّة بمكان حتى أنها أفقدت فرعون صوابه فبحث عن أي وسيلة لإسكات موسى عليه السلام وثنيه عن إقناع الناس بدعواه، فاعتمد على ما يسمّى بالإطار المكروه (Le Cadrage vontraignant)¹ وذلك باستعماله لحجّة تهديدية (التهديد بالسجن)، وهو الأعلّم- أي موسى عليه السلام- بأنه أشدّ من القتل وفي هذا تذكير له بهول السجن. وفي هذا الحوار مخالفة واضحة لقواعد التخاطب وخرق لقواعد الحوار التفاعلي وتوظيف للتطويع الذهني (Manipulation Mentale)².

3- أفعال الكلام (Actes de langage):

مرّت نظرية أفعال الكلام (Actes de langage) بأطوار ثلاثة أساسية هي: " تمييز مستويات مختلفة في الفعل اللغوي " وضع شروط محدّدة للفعل اللغوي " وضع قواعد خطابية للفعل اللغوي"³. فميّز، في البداية، أوستين (J.L.Austin) في الفعل الكلامي بين عناصر فعلية ثلاثة⁴: الفعل الكلامي⁵ ((L'acte locutoire)) الفعل التكلّمي⁶ (L'acte Illocutoire) الفعل التكليمي⁷ (L'acte perlocutoire).

¹ محمد الداوي. مرجع سابق. ص 261.

² المرجع نفسه. ص 263.

³ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 260.

⁴ استعمل طه عبد الرحمن في ترجمة مستويات أفعال اللغة مصطلحات مشتقة من نفس المادة (ك ل م) لحرصه على استثمار خاصية الاشتقاق، حيث تستثمر المقابلات الأجنبية التركيب المزجي. وهذا اختيار صائب فيما نرى. ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 260.

⁵ وهو فعل التلّفظ بصيغة ذات صوت محدّد وتركيب مخصوص ودلالة معيّنة. وقد يترجم إلى فعل النطق.

⁶ وهو الفعل التواصل الذي توديه هذه الصيغة التعبيرية في سياق معيّن. وقد يترجم إلى فعل الإنجاز.

⁷ وهو أثر الفعل التكلّمي في المستمع. وقد أشار طه عبد الرحمن إلى مصطلح التكلّيم لأنه يعدّ أخص من الكلام وهو متعلق بالمخاطب، وليس كل كلام خطابا للغير. قد يترجم الفعل التكليمي إلى فعل الأثر أو التأثير، لأنه يستهدف المخاطب. ينظر طه عبد الرحمن. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 260.

ثم جاء سيّد (Searle) فاستخرج شروطاً أربعة للفعل الكلامي، حتى يؤدّي أداءً موقفاً لله¹:

1- شروط مضمون القضية: وهي التي تحدد أوصاف المضمون المعبر عنه بقول مخصوص.

2- الشروط الجوهرية: وتعيّن هذه الشروط الغرض التواصلّي من الفعل التكلّمي. هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معيّنة.

3- شروط الصدق: وهي تحدد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم بالمتكلم المؤدّي لهذا الفعل التكلّمي.

4- الشروط التمهيدية: وتتعلق هذه الشروط بما يعرفه المتكلم من قدرات واعتقادات وإرادات المستمع وعن طبيعة العلاقات القائمة بينها².

ثم جاء غرايس (Grice) فوضع قواعد خطابية للفعل الكلامي انطلاقاً من المبدأ العام المسمّى "مبدأ التعاون" ومقتضاه إجمالاً أن يتعاون المتخاطبون على الوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التخطيب³.

وما يقدر كنفد لجهود هؤلاء الباحثين اشتغالهم، في الغالب، بالأفعال اللغوية البسيطة، وإهمالهم للأفعال اللغوية المركّبة؛ وهذا ما أراد الباحثان الهولنديان فان إيميرن (Van Emeren) وغروتندورست (Grootendorst) تقاويه، فقاما بتوسيع هذه النظرية حتى تشمل الأفعال اللغوية المركّبة، فضلاً عن الأفعال اللغوية البسيطة⁴. فأدرجا الحجاج في جملة الأفعال اللغوية، الذي يعرف عندهما بأنّه " فعل تكلّمي

¹ المرجع نفسه. ص 261.

² أورد طه عبد الرحمن هذا المثال لتوضيح الشروط التي وضعها سيرل للفعل الكلامي والنظر في مدى مطابقتها، يقول: فإذا قلنا مثلاً: الشوق مهد الحضارة، فقد قام بفعل الجزم، والشروط القضوي للجزم هو أنه حكم يحتاج إلى دليل، وشرطه الجوهري هو أن المتكلم يتحمّل إثبات الحكم الذي أصدره، وشرطه الصدقي هو أن يعتقد صدق هذا الحكم، وشرطه التمهيدي هو أن المتكلم يعتقد أن المستمع لا يعلم بمضمون قوله وأن الإتيان بالدليل عليه قد يحمله على التسليم به. ينظر طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 261.

³ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 261.

⁴ المرجع نفسه. ص 262. بتصرف

لغوي مركّب"¹: واقتفى الباحثان أثر سيد (J.R.Searle) آخذين بمبدئه في تحديد شروط أداء الفعل اللغوي، وتولى هذان اللسانيان استقصاء الشروط التي يؤدي استيفؤها إلى توفيق المتكلم في أداء فعل الحجاج، وقد قسّماها إلى "شروط الحجّة المثبتة" و"شروط الحجّة المبطلّة"².

وما يمكن أن يقدّم كنقد لما قدّمه هذان الباحثان "ردّ هذا التصور وظائف النص إلى وظائف الجملة"³ على اعتبار أن الفعل اللغوي مختص ومستقل بالجملة؛ أما الحجّة، فتتعلّق "بحقيقة خطابية متميّزة هي النص". وما فعله فان إيميرن و غروتندورست هو "نقل مقولات وقواعد نظرية الأفعال اللغوية إلى هذا الفعل المتعلّق بالنص"⁴ ودعّماها بمبدأ التعاون عند غرايس وما يتقرّع عنه من قواعد، فأبدلا، هذا المبدأ "بمبدأ آخر يتّسع للحقيقة الخطابية النصية أطلقا عليه اسم مبدأ التواصل.

وبناء على هذا المبدأ يصبح الفعل الحجاجي هو الأصل والفعل اللغوي البسيط هو الفرع، فيكون الحجاج حاكما على هذه الأفعال البسيطة لا محكوما بها. وأن بعض الأفعال اللغوية⁵ تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج⁶. تلزم هذه الأفعال المتكلم والمخاطب بوجه ما، لتحقيق الدلالة التفاعلية للفعل اللغوي.

- أفعال اللغة البسيطة والمركّبة:

¹ ويقصد به أن الحجّة فعل تكلمي لغوي مؤلف من أفعال تكلمية فرعية وموجّه، إما إلى إثبات أو إلى إبطال دعوى معيّنة. ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 262.

² المرجع نفسه. الصفحة نفسها. يتصرف

³ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص 262.

⁴ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁵ تتنوع فان إيميرن و غروتندورست دور كل صنف من الأفعال اللغوية التي صنفها سورل، إذ وجدا أن بعضها ذو دور حجاجي، أما البعض الآخر فليس له ذلك الدور. ينظر فان إيميرن وروب غروتندورست: الحجاج فعل لغوي مركّب، ترجمة ياسين ساوير المنصوري. مقال ضمن مؤلّف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس. ص 197.

⁶ إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال؛ فالمخاطب يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريرية، إن لم يكن كلها ليعبّر عن وجهة نظره وليحدّد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلّة في حجاجه من خلال التأكيد أو الإدعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للترجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعدّ صالحة، كما يعبّر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك لتأسيس النتيجة. ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجية الخطاب؛ مقارنة لغوية تداولية. ص 481.

يفرّق فان إيميرن وغروتندورست بين فعل الحجاج وأفعال اللغة البسيطة كالزم والالتماس والوعد والإلغاء والمعارضة والإعلان والنصح والتنبؤ، نذكرها في الجدول الآتي¹:

أفعال اللغة المرّجبة (الحجاج)	أفعال اللغة البسيطة
❖ يتكوّن فعل الحجاج من عدة منطوقات. مثاله: ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة، فعمرها يقارب الواحد والستين وقلبها يفرق بسهولة وتقاعدها لا يؤهلها لابتياح سيارة.	❖ تتكوّن من منطوق واحد ووحيد. مثاله: أ- الوعد: غدا سأردم هذا الحائط. ب- الجزم: لقد توقّف المطر. ت- النصح: أفضل ما تفعله ذهابك للتمدد لحظة.
❖ للمنطوقات التي تبني الحجاج وظيفتين تواصليتين في الآن نفسه. فالمنطوقات الثلاث السابقة معا تشكل حجاجا لها وظيفة تواصلية إذا كانت متصلة، ووظائف تواصلية أخرى إذا كانت منفصلة.	❖ للمنطوق وظيفة تواصلية واحدة.
❖ عدم استقلالية الحجاج وارتباطه بفعل لغوي آخر يعبر عن الدعوى التي يدافع عنها الحجاج.	❖ استقلالية كل فعل لغوي بسيط
❖ له وظائف تواصلية في النص.	❖ لها وظيفة تواصلية في الجملة
❖ يطلب الحجاج القبول لا التسليم.	❖

¹ فان إيميرن وروب غروتندورست. مرجع سابق. ص 199.

- شروط فعل الحجاج المرَّكَّب وآثاره¹:

- المثل الأول: الآيات [16-28] من سورة الشعراء

شروط المضمون القضوي ²	تعبّر عن التزام بصدد مقبولة القضايا. - الله رب السموات والأرض وما بينهما. - الله رب آياتكم الأولين. - الله رب المشرق والمغرب وما بينهما.
الشرط الجوهرية ³	إن تحقيق (1)-(3) يعتبر محاولة يقوم بها المتكلم (موسى عليه السلام) لكي يُعقل المتلقي (فرعون) بأن دعواه مقبولة والتي هي: " عليك أن تؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له".
الشروط الابتدائية ⁴	1- يعتقد (موسى عليه السلام) أن (فرعون) لا يقبل دعواه " عليك أن تؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ". 2- يعتقد (موسى عليه السلام) أن (فرعون) سيقبل القضايا المعبر عنها في (1)-(3). 3- يعتقد (موسى عليه السلام) أن (فرعون) سيقبل جملة القضايا (1)-(3) كتعليل للقضية " عليك أن تؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ".
الشروط الالتزامية ⁵	1- يعتقد (موسى عليه السلام) أن الدعوى " عليك أن تؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له " مقبولة. 2- يعتقد (موسى عليه السلام) أن القضايا المعبر عنها في (1)-(3) مقبولة. 3- يعتقد (موسى عليه السلام) أن جملة القضايا (1)-(3) تشكّل تعليلا مقبولا للقضية " عليك أن تؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ".

¹ وضع فان إيميرن وغروتندورست شروطا لتحقيق فعل الحجاج المرَّكَّب، وهي صنفان شروط التحديد والتصحيح:
أ- شروط التحديد: فشروط التحديد يفيد استيفائها في تحديد ما إذا كان المنطوق فعلا لغويا. وإلا استحال على المتلقي أن يميز بين وعد ووعد والتماس وخبر... وأن يعرف النتائج المترتبة عليها. وهي مجموعتان: شروط المضمون القضوي- الشرط الجوهرية.
ب- شروط التصحيح: يجب استيفائها حتى يكون المنطوق تحقيقا صحيحا لفعول لغوي. فليس يكفي استيفاء شروط التحديد. فقد يطرح المتكلم سؤالا غير آبه بالجواب عنه، وهي مجموعتان كذلك: شروط ابتدائية- وشروط التزامية.
² شروط المضمون القضوي: إن كل واحد من المنطوقات 2، 1...ن يحقق فعلا لغويا بسيطا 1 أو 2...أو ن يفيد التزاما تجاه القضايا المعبر عنها.
³ الشرط الجوهرية: إن تحقيق مجموع أفعال اللغة البسيطة، يعني أن المتكلم يسعى إلى تعليل "ب". وقد توهم صيغة الشرط الجوهرية أن الحجاج لا يكون إلا للدفاع عن الدعوى الموجبة. ولكن يمكن أن يدافع عن الدعوى السالبة.
⁴ الشروط الابتدائية:
أ- أن يعتقد المتكلم أن المستمع لا يقبل ادّعاءه لـ "ب" أو على الأقل لا يقبل تلفائيا أو كليا ذلك الادّعاء.
ب- يعتقد المتكلم أن المستمع مستعد لقبول كل قضية من القضايا التي تعبّر عنها الأفعال البسيطة 1، 2، ...ن.
ج- يعتقد المتكلم أن المستمع مستعد لقبول مجموع الأفعال البسيطة 1، 2، ...ن من حيث هي تعليل مقبول لـ "ب"
⁵ الشروط الالتزامية:
أ- يعتقد المتكلم أن ادّعاءه لـ "ب" مقبول.
ب- يعتقد المتكلم أن القضايا التي تعبّر عنها الأفعال البسيطة 1، 2، ...ن مقبولة.
ج- يعتقد المتكلم أن مجموع الأفعال البسيطة 1، 2، ...ن تعليل مقبول لـ "ب". ينظر: فان إيميرن وروب غروتندورست. مرجع سابق. ص 199.

الأثر التواصلي (الفهم)	يفهم (فرعون) أن (1)-(3) تشكّل حجاجاً عن الدعوى " عليك أن تؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ".
الشرط التفاعلي (القبول)	يقبل (فرعون) (1)-(3) كتعليل للقضية " عليك أن تؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ".

4- الروابط الحجاجية:

تتضمن اللغة العربية، كغيرها من اللغات، على عدد كبير من الروابط الحجاجية؛ إذ تعرّف بأنّها: " دة لغوية تصل بين ملفوظين أو أكثر تم سوقهما ضمن نفس الإستراتيجية الحجاجية"¹. ويختلف دور الروابط الحجاجية عن دورها التقليدي المتمثل في مجرد الإخبار وإنما تكون لها قيمة حجاجية؛ إذ تضطلع بدورين: الربط بين قضيتين (ملفوظين) : الترتيب بينهما حسب قوّة أو ضعف الحجج المعروضة في الخطاب. من هذه الروابط في اللغة العربية: غني عن القول، لكن، بل، فضلاً ع (حتى، لا سيما، إذن، بما أن، إذ، لأن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي...².

- معايير الربط الحجاجي:

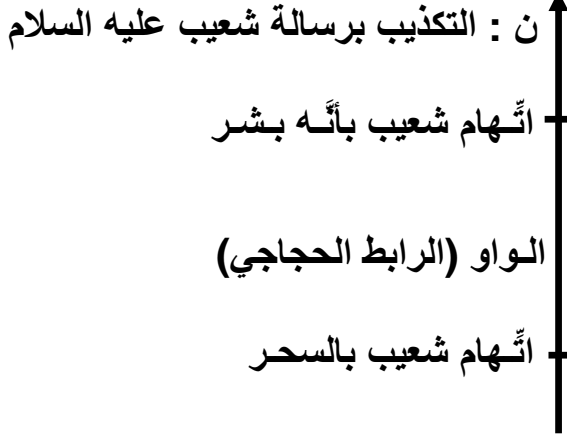
أ- معيار عدد المتغيرات:

يربط الربط الحجاجي بين المتغيرات الحجاجية، فيكون محمولاً ذا موقعين حجاجيين³، أو ذا ثلاثة مواقع⁴.

ب- معيار وظيفة الربط:

¹ رشيد الراضي: الحججيات اللسانية والمنهجية البنوية. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثاني؛ مدارس وأعلام. ص 100.
² لمزيد من الاطلاع على النماذج التطبيقية للروابط الحجاجية ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ مقارنة لغوية تداولية. ص 508 وما بعدها. وينظر كذلك: رشيد الراضي. الحججيات اللسانية والمنهجية البنوية. ص 100 وما بعدها.
³ حيث يتوسّط الربط الحجاجي متغيرين حجاجيين، ومثاله : الجو ممطر، إذن سأبقى في المنزل. ينظر: رشيد الراضي. المرجع نفسه. ص 101.
⁴ حيث يتوسّط الربط الحجاجي ثلاث متغيرات حجاجية، ومثاله: ساءت أحوال عمار، أصبح يدخن، ويشرب الخمر، بل وصار من مدمني المخدرات. ينظر: رشيد الراضي. المرجع نفسه. ص 102.

بشرا. ولهذا نقول أن الرابط الحجاجي، دَعَمَ الحَجَّةَ الأولى بحجّة ثانية في اتجاه حجاجي واحد. فتكونان حجّتين متساوئتين أو متساندتين، لتحقيق النتيجة التي يريدها أصحاب الأيكة، وهي التّكذيب برسالة شعيب عليه السلام.



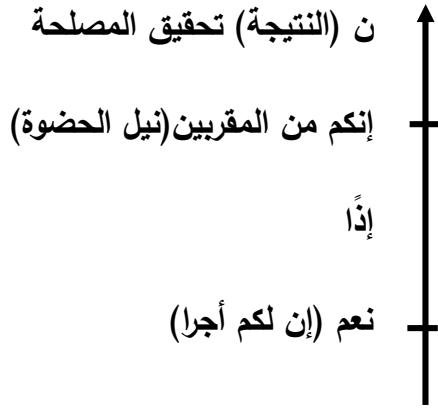
1. ڇ

2- المثال الثاني: ڇ

جمع الرابط الحجاجي "الواو" في هذا المثال كذلك بين حجّتين، الأولى: إرجاء موسى (عليه السلام) وأخيه وتأجيل عقابهما إلى يوم اجتماع السحرة حتى يتمكّن فرعون وسحرته من غلبته لاحقاً والحجّة الثانية: الطلب من فرعون أن يبعث رسله لجمع السحرة المهرة، فهاتان الحجّتان المتساندتان تتأفان الرسالة وتنفيانها عن موسى (عليه السلام). ولهذا نقول أن الرابط الحجاجي، دَعَمَ الحَجَّةَ الأولى بحجّة ثانية في اتجاه حجاجي واحد، فتكونان حجّتين متساوئتين لتحقيق النتيجة التي يريدها فرعون وملاه، وهي التّكذيب برسالة موسى (عليه السلام).

- إذن:

¹ الشعراء: 36.



- حتى :

تكون حتى¹ حرف جر في أكثر الاستعمالات، بمنزلة "إلى" معنى وعملا ولا تجرّ إلا الظاهر، وأن يكون الاسم السابق ذا أجزاء واللاحق هو الغاية، أو متصلا بها، ث تُجَفَّ قَ قَ جَ جَ جَ². وأن يكون انقضاء الفعل قبلها شيئا فشيئا حتى يصل إلى الغاية³.

وينصب المضارع بعد حتىّ بأن مضمرة وجوبا، ويكون المصدر المؤول من أن والمضارع مجرورا بحتىّ، ث تُجَ جَ⁴ أي حتى أن يروا العذاب الأليم. فالمضارع منصوب بأن المضمرة وليس بحتىّ، لأن حتىّ تجرّ الاسم وما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال⁵. ويجب أن يكون المضارع بعدها مستقبلا بالنسبة إلى زمن التكلم⁶.

وشروط مجرور حتىّ:

- أن يكون المجرور بحتى ظاهرا.
- أن يكون آخر جزء أو ملاقٍ لآخر جزء.

¹ حرف، له عند البصريين ثلاثة أقسام: يكون حرف جر، وحرف عطف، وحرف ابتداء. وزاد الكوفيون قسماً رابعاً، وهو أن يكون حرف نصب، ينصب الفعل المضارع. وزاد بعض النحويين قسماً خامساً، وهو أن يكون بمعنى الفاء. ولا بد من بيان هذه الأقسام واحداً واحداً. ينظر الحسن بن قاسم المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 170. موقع مكتبة المصطفى الإلكترونية.
² القدر: 5.

³ علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي. ص 141.

⁴ الشعراء: 201

⁵ علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي. مرجع سابق. ص 142.

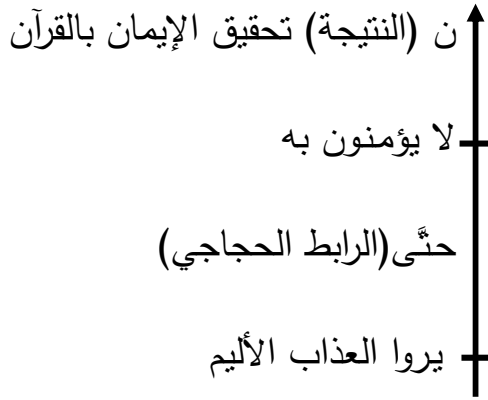
⁶ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

- أن يكون المجرور بها داخلا فيما قبلها على الغالب.
- أن يكون الانتهاء به أو عنده.

1- المثال الأول: ج

ج¹.

نلاحظ في هذه الآية أن الرابط الحجاجي " حتّى "، وهو من الروابط المتساوقة حجاجيا والمدرجة للحجج القوية²، جاء لتحقيق غايتين؛ تهديد بالعذاب من جهة وحثّ على المبادرة والمبادرة بالإيمان قبل حلول هذا العذاب من جهة أخرى. إذ تسير الحجتان في طريق واحد لتحقيق النتيجة. وهذا هو المطلوب من كل قارئ ومتلقٍ للخطاب القرآني.



- بل :

يُستخدم هذا الرابط لغرضين؛ للحجاج والإبطال فهو من روابط التعارض الحجاجي³ وله حالان:

¹ الشعراء: 201

² أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج. ص 30.

³ أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج. ص 30.

لا - ن

حيث :

- ح 1 : يشير إلى الحجّة الأولى.
- ح 2 : يشير إلى الحجّة الثانية المضادة للحجّة الأولى.
- ن : نتيجة الحجّة الأولى ح 1.
- لا - ن : النتيجة المضادة للنتيجة ن.
- بل : الرابط الحجاجي المدعم للحجّة المضادة ح 2.
- [—] : يشير هذا الرمز إلى العلاقة الحجاجية (بين الحجّة أو الحجج والنتيجة).

5-العوامل الحجاجية:

تختلف العوامل¹ الحجاجية عن الروابط الحجاجية؛ في كون الثّانية تربط بين المتغيرات الحجاجية² (أي بين الحجّة والنتيجة أو بين مجموعة الحجج)، أمّا الأولى فتقوم بتقييد الإمكانيات الحجاجية للقول وحصرها³. ويعرّف العام الحجاجي (L'opérateur argumentatif) بأنّه " " دة لغوية إذا تمّ إعمالها في ملفوظ معيّن، فإن ذلك يؤدّي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"⁴. من أهمّ الأدوات التي تعدّ عوامل حجاجية: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا و .. أدوات القصر⁵.

نعطي مثلا عن دور العامل الحجاجي في تقييد الإمكانيات الحجاجية للملفوظات وحصرها:

ملفوظ 1 : لؤي في الثالثة من عمره.

ملفوظ 2 : لؤي ما يزال في الثالثة من عمره.

فالملفوظ 1، يخلو من أي عامل حجاجي، في حين يتضمن الملفوظ 2 عاملا حجاجيا هو " ما يزال "، وقد . ود هذا العامل في الملفوظ 2، إلى زيادة في الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ (تحويل موجب)، وهذه الطاقة الإضافية غير مستمدة من القيمة الخبرية لهذا العامل⁶.

- نماذج من العوامل الحجاجية في سورة الشعراء:

- ما...إلا:

¹ أدرج أوزفالد ديكره مفهوم العامل الحجاجي لأوّل مرّة في مقاله المعنون بـ: Note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter, 1982، ثمّ فصلّ فيه القول في مقاله المنشور سنة 1983، والمعنون بـ: Opérateurs argumentatifs et visée argumentative. ينظر أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج. ص 28.

² المرجع نفسه. ص 27.

³ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁴ صاغ موشليير تعريف العامل الحجاجي صوغا صوريا كما يلي: "إذا كانت مجموعة "با" من الملفوظات، تشترك في نفس المحتوى ن، ومجموعة "با*" من الملفوظات، تشترك في نفس المحتوى ن*، بالوجه الذي تكون معه : ن = ن + و (بحيث يكون "و" عاملا حجاجيا من قبيل : تقريبا، تماما، بعد، مازال، أو شك، قليلا، كثيرا...)، فإن " و " يعتبر عاملا حجاجيا، إذا كانت إمكانيات الحجاج التي تنتجها "با*" مختلفة عن تلك التي تنتجها " با "، من غير أن يكون ذلك متولدا عن المعلومات التي يضيفها "و"، أي عن قيمته الخبرية المجردة. ينظر: رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية. ص 98. في: J. Moechler, argumentation et conversation, p62.

⁵ أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج. ص 27.

⁶ رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية. ص 99. بتصرف

الحجاجي "إنما"، مما لو لم يكن العامل الحجاجي موجوداً (قالوا أنت من المسحّرين) فغاية ما أحدثه العامل الحجاجي "إنما" في هذا المثال، هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الإستراتيجية الحجاجية لقوم صالح عليه السلام. وإن كان ادّعاؤهم يخالف قواعد التخاطب، وبخاصة في الجانب التهذيبي لمبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص، في تحقيق قاعدة الصدق¹.

المب.ث. الثاني: الآليات البلاغية

تتمي الآليات اللغوية و البلاغية قدرة المتخاطبين على الإقناع، ولتحقيق هذا الغرض يجب أن تكون عملية الإقناع بطريقة منظمة، يستجمع فيها المتكلم ك ما يملك من أدوات بلاغية مختلفة للتأثير في آراء الآخرين وأفكارهم، بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة النظر في موضوع معين، فحين التكلم تتعين مراعاة فن القول لتصل إلى قلب المتلقي وعقله وهنا تتولد عنه الوظيفة الإفهامية الاقتناعية، ومن هذه الأدوات التي يتوسّل بها لتحقيق الإقناع التشبيه والاستعارة والبديع.

1- التشبيه:

¹ يمكن الاطلاع على هذا المبدأ بتفاصيله في الفصل النظري.

لما كان التشبيه والاستعارة أداتين بهما نعبر ونبلغ ونسعى إلى التأثير، كان طبيعياً، لتحقيق هذا الأمر بنجاعة، العمل دائماً على الملاءمة بينهما وبين الغاية المتوخاة¹.

يكاد يقع إجماع من اللغويين والبلاغيين على أن التشبيه والتمثيل لفظان مترادفان²، فهما متفقان معنى ولا فرق بينهما³. ولكن البعض يرى أن التشبيه أعم من التمثيل، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً.

ويعرّف التمثيل على أنّه " عقد الصلة بين صورتين، ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه"⁴. والتشبيه: "صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر"⁵. فكلاهما يقوم على فكرة الاشتراك بين طرفين في صورة (حسية أو مجردة) أو صفة تقارب بينهما، وتخبر عن الشبه الموجود، وهي علامة على التكافؤ بين طرفي علاقة التشبيه (والتمثيل)، ولكنه تكافؤ غير تام، أي لا يستوعب جميع الصفات أو الصور، فهذا التشارك⁶ والتشاكل جزئي.

ومادام التشبيه أعم من التمثيل، فإننا سنذكر التشبيه قاصدين به التمثيل والتشبيه معاً، لكون الأول مستوعب في الثاني، وما يهمننا في دراستنا للتشبيه هو

¹ شاليم بيرلمان: التمثيل والاستعارة في العلم والشعر والفلسفة، ترجمة حمو النقاري. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس. ص 50.

² يقول صاحب المثل السائر: " وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال: مثله به، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه" ينظر ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق احمد الحوفي. بدوي طباعة. ص 219.

³ فالتشبيه لغة: شبه الشيء بالشيء أي مثله به وقرنه. ينظر الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية؛ نحو رؤية جديدة. ص 15.

⁴ عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية. ص 497.

⁵ الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية؛ نحو رؤية جديدة. ص 15.

⁶ يشترك السكاكي والتهانوي في ذكر دلالة المشاركة في التشبيه فيعرّف صاحب مفتاح العلوم التشبيه بقوله: " أن التشبيه مستدع طرفين، مشبهها ومشبهها به، واشتركا بينهما من وجه، وافترقا من آخر...لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر " ينظر السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم. ص 332. ويعرّف التهانوي التشبيه بقوله: بأنه " دلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد " ينظر التهانوي. مرجع سابق. ص 434.

إعادة النظر في هذا النمط للكشف عن فاعليته في الإقناع¹. حيث يعدّه البعض تقنية إقناعية في كثير من المحاجات².

وقال السيوطي في المزهري: " فبحسن اللفظ واختلافها على المعنى الواحد ترصّع المعاني في القلوب، وتلتصق بالصدر، ويزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة والتشبيهات المجازية"³.

وقال الزمخشري: " التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك...ألا ترى أن الحق لماً كان واضحاً جلياً تمثّل له بالضياء والنور، وأن الباطل لماً كان بضده تمثّل له بالظلمة، وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلاً في الوهن والضعف"⁴.

وفي القرآن الكريم تتفرّد تشبيهاته وتمثيلاته عن غيرها، ولها طابعها الخاص الذي تباين بها ما هو معروف عند البشر؛ إذ تعرّف بالمفهوم الجامع " بما يضربه الله للناس من أقوال تتضمن ما فيه غرابة من تشبيه أو استعارة أو قصة، ويدخ في هذا كله ما سماه القرآن قبل ذلك وبعده مثلاً، بل ويعدّ في أمثال القرآن كل ما اشتمل على تمثيل حال بحال آخر"⁵.

- نماذج من التشبيه في سور الشعراء:

- المثل الأوّ: ججف⁶ ف⁷ ف⁸ ف⁹ ق⁹ ق⁹ ج⁹.

¹ جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال. ص 170. بتصرف

² المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ السيوطي: المزهري في علوم اللغة. الجزء الأول. ص 37-38.

⁴ الزركشي: البرهان في علوم القرآن. الجزء الأول. ص 488.

⁵ بن عيسى باطاهر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ص 101. في: محمد الخضر حسن: بلاغة القرآن، تحقيق علي الرضا

التونسي. ص 21-32.

⁶ انفاق البحر، انشق اثني عشر طريقاً على عدد أسباط بني إسرائيل.

⁷ والفرق هو القطعة المرتفعة من البحر.

⁸ كالطود العظيم كالجبل الضخم.

⁹ الشعراء: 63.

ومحل الشاهد: كل فرق كالطود العظيم¹ هذا تشبيه مرسل مجمل¹، ذكرت الأداة² حرف (الكاف) " وهي رابط لفظي يعقد به المتكلم علاقة المشابهة بين الطرفين، وهي علامة على التكافؤ بين طرفي التشبيه ولكنه تكافؤ غير تام³ ".
ويظهر أن تشبيهات القرآن⁴ تأتي في أغلبها محذوفة الوجه، فهي " من التشبيهات المجملة التي تقتضي التماثل التام بين طرفي التشبيه، وهذا نوع من تأكيد الصلة بينهما⁵ "، وهذا ما ينطبق على التشبيه الوارد في سورة الشعراء، إذ أتى محذوف الوجه، لإبقاء الباب مفتوحاً أمام مختلف التفسيرات والتأويلات لإيجاد وجه الشبه بين كلمتي البحر (وهو المشبه) و الطود أو الجبل (وهو المشبه به))
ومما جاء في كلام بعض المفسرين أن البحر (في معجزة موسى عليه السلام) كالجبل في " إشرافه وطوله وصلابته بعدم السيلان " والعظيم المتناول في السماء الثابت لا يتزلزل⁶ ". وهذا الاستدلال تمّ بشيء معروف وبدهي " لا ينكره فرعون ومأله " ولا ينكره أي أحد من الناس، عاقلهم وجاهلهم " على شيء غير معروف بهذه الصفات، بل إن العقول لا تتصور أن تكون للبحر هذه الصفات. فهذه معجزة، مستحيلة في سنن الناس ومألوفهم، والله الذي خلق السنن قادر على أن يجريها وفق مشيئته عندما يريد. وفي هذا الخطاب مراعاة لمستويات المخاطبين.
وفي هذا التشبيه غايات عظيمة ومقاصد جليّة يتغيّاها الخطاب القرآني؛ إذ إنه يقرّر ويؤكد صدق الرسالة التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، ويزيد من تأثيرها وإقناعها للنفوس لأنها تنقلها من الفكرة إلى الفطرة، ومن الغموض إلى البديهة، وهذا

¹ تشبيه محسوس بمحسوس: لأن السياق يقتضي التشبيه بالمحسوس لأن فرعون لا يؤمن إلا بالمحسوس..؟

² إنّ الأداة الغالبة في تشبيهات القرآن هي الكاف، ثم (كان) وغالبا ما تدخل الكاف على كلمة مثل فتشبهه مثلا بمثل. وقلّ حذف الأداة في تشبيهات القرآن على عكس ما يرى ابن الأثير في المثل السائر. ينظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. الجزء الثاني. ص 282.

³ الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية؛ نحو رؤية جديدة. ص 17.

⁴ تشبيهات القرآن كلها تدور حول الإنسان، تشبهه تارة وتشبه له تارة أخرى، تشبهه بما يناسب وضعه وتشبه له بما يحيط به من هذا الكون مما لا غناء عنه في حياته ووجوده. ينظر عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. مرجع سابق. ص 280. عنصر مادة التشبيه والتمثيل القرآني.

⁵ المرجع نفسه. ص 292.

⁶ البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ص 365.

من شأنه أن يزِيل ما فيها من شكوك، ويذهب ما بها من أوهام، فصلة النفس بالمحسوسات أسبق من صلتها بالمعقولات¹.

وقيمة التشبيه لا ترجع فقط للعلاقة بين طرفيه ولا يؤتى به ليكون زينة زخرفية تحسينية ولا حلية لفظية، وإنما ليزيد المعنى وضوحاً فيقتنع به المتلقي، لتعبير عن نفسه وتصويره لما يدور في خاطره وعقله وتقريبه للمسافات بين ما هو محسوس وما هو ملموس. وهذا ما جاء الدرس الحجاجي المعاصر؛ إذ جعل من قيمة التشبيه في حجاجيته وإقناعيته.

ولم يتخذ التشبيه في الخطاب القرآني إلا وسيلة وسبيلاً للإقناع والتأثير لما فيه من خصائص فنية وبلاغية متميزة، ولما له من قدرة على توصيل المعاني مع جمال التعبير، وحسن التصوير، ولما له من أثر بليغ في تلقي الدعوة وقبولها.

وتظهر الخصائص الإقناعية للتشبيه القرآني في كونه، من أهم طرق الاستدلال والمحاجة في سبيل الوصول إلى الحقائق، فيسوق الخبر مقروناً بالحجة، ليلقى قبولاً واستجابة من المخاطبين متجنباً في ذلك طريقة السرد المباشر.

ومن وظائف التشبيه القرآني إخراج ما خفي وتقريبه إلى الأفهام، وذلك بإبراز المعقولات الخفية في صورة المحسوسات الجلية ليتمكّن المخاطبون من إدراك المقصود من مشبه واحد، لانتزاع الصفات المتعددة لوجه الشبه.

ومما يقيم الحجّة على المخاطبين بالخطاب القرآني أن المشبه به معروف ومسلّم به لديهم، وهذا مما ينير لهم السبيل لتجلية الحقائق والافتتاح بها.

2- الاستعارة:

هناك نوعان من الدراسات التي اهتمت بالاستعارة، الأولى تنظر إليها من حيث وظيفتها التزيينية، والثانية تنظر إليها من حيث وظيفتها الحجاجية. يرى في

¹ فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها. ص 75

هذا السياق كلا من جورج لايكوف ومارك جونسون أن الاستعارة لم تعد تمثل بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي، وإنما أصبحت ذات بعد حجاجي، لها مقومات حجاجية حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها¹.

وبالعودة إلى تراثنا العربي نجد أن عبد القاهر الجرجاني " أول من استخدم أدوات حجاجية لوصف الاستعارة"².

وهي مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي³. أو هي تشبيه سكتَ عن أحد طرفيه (وهو المشبه عادة) وذكّر فيه الطرف الآخر وأريد به الطرف المحذوف. فالمتكلم يستعير لفظ المشبه به ليستعمله للدلالة على المشبه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي⁴.

وهذا ما اعتقده بيرلمان في أبحاثه حول الاستعارة، إذ عدّها مقوماً حجاجياً إقناعياً؛ حيث حاول أن يردم الهوة بين الخطاب الحجاجي النفعي والوظيفي والأدب. فالاستعارة متى نجحت في استمالة المخاطب لم تعتبر زخرفة، وإنما تعدّ مقوماً حجاجياً⁵.

ويوضّح بيرلمان تصوره للاستعارة بقوله: " إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا. إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي"⁶.

¹ جورج لايكوف، مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة. ص 21.

² حسن المودن: حجاجية المجاز والاستعارة. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثالث؛ الحجاج وحوار التخصصات. ص 163. في: طه عبد الرحمن: الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج. مجلة المناظرة، العدد4، السنة 2، مائة 1991. ص 70.

³ الأزهر الزناد. مرجع سابق. ص 59.

⁴ الأزهر الزناد. مرجع سابق. ص 59.

⁵ محمد الولي. مرجع سابق. ص 61.

⁶ محمد الولي: الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان. في: . Traité de l'argumentation. P 535.

وفي سياق الدراسات الحجاجية حول الاستعارة يربط العزاوي بين الاستعارة¹ والسلم الحجاجي، ويعتبر أن الأقوال الاستعارية أعلى وأقوى حجاجيا من الأقوال العادية².

وتعرّف الاستعارة الحجاجية بأنها " تلك التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقى"³.

وهي عند أبي بكر العزاوي تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، ويقصد تحقيق أهدافه الحجاجية...وهي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية. في مقابل الاستعارة الحجاجية نجد الاستعارة البديعية، وهي التي لا تقصد لذاتها ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم الحجاجية⁴.

أما الاستعارة في القرآن الكريم فهي استعارة حجاجية؛ لأنها من " الأدوات المفضّلة إليه في التعبير عن معانيه"⁵، ودعوة مخاطبيه إلى الاقتناع والتصديق بما جاء فيه. فالخطاب القرآني يعمد إلى " هذه الصورة التي رسمها فيعطئها ألوانها وظلالها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار، فإذا هي شاخصة تسعى"⁶.

ومما يميز الاستعارة القرآنية وضوحها، إذ تتقلّ المستمع والمخاطب من الحالة المعنوية إلى الحالة الحسية، فتصبح المعاني محسوسة ملموسة، من ذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: **تَطۡجَتۡتَطۡتَطۡتَفۡفۡفَقۡجۡj**

¹ الاستعارة التي يقصدها العزاوي هي التي يسميها الاستعارة الحجاجية، يفرّقها عن الاستعارة غير الحجاجية ويسميها الاستعارة البديعية، ووجه الاختلاف بينهما كون الأولى " تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه ويقصد تحقيق أهدافه الحجاجية " ، والثانية - أي الاستعارة البديعية- ليس لها ارتباط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم كما في الاستعارة الحجاجية، وإنما هي مقصودة لذاتها. ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج. ص 109.

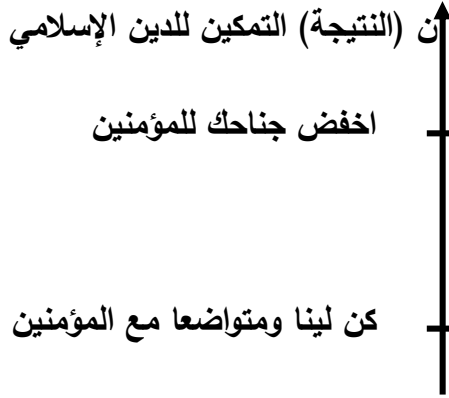
² المرجع نفسه. ص 102.

³ عمر أوكان: اللغة والخطاب. ص 219.

⁴ أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج. ص 108.

⁵ عبد العزيز بن صالح العمّار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن؛ دراسة بلاغية تحليلية. ص 67.

⁶ بكري شيخ أمين: التصوير الفني في القرآن. ص 197.



3-البديع:

استقر الأمر منذ مرحلة التعيد (القرن السابع الهجري)، على أن وظيفة البديع هي التحسين، وأن هذا التحسين قد يكون في اللفظ، وقد يكون في المعنى. والأول هو تحسين الألفاظ أو المحسنات اللفظية، والثاني هو تحسين المعنى أو المحسنات المعنوية¹.

ولكن النظرة المعاصرة للبديع اختلفت، فاستعمال المتكلم أشكالاً لغوية تنتمي إلى المستوى البديعي، وأن دورها يقف على الوظيفة الشكلية. رأي غير كامل؛ إذ إن للبديع دوراً حجاجياً لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك.

ويندرج تحت إطار البديع: التكرار أو التكرير، الطباق، والمقابلة، وغيرها. سنتناول ما جاء منها في سورة الشعراء بشكل واضح.

أ- التكرير أو التكرار²:

¹ جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. ص 75.
² أو الترداد كما سماه عبد الملك مرتاض في كتابه: نظام الخطاب القرآني. ص 55. أو التردد كما ذكره محمد العبد في كتابه: النص والخطاب والاتصال. ص 231.

يعد التكرار أسلوباً من أساليب الفصاحة العربية، وإستراتيجية من إستراتيجيات الإقناع¹. وظاهرة من الظواهر الأبرز في الخطابات عموماً، وفي الخطاب القرآني خصوصاً² يعرف عند أهل اللغة " الكُرُّ الرجوع على الشيء، وكرَّرَ الشيء وكرَّره أعاده مرة بعد أخرى، ويقال كرَّرتُ عليه الحديث وكرَّرتُه إذا رددته عليه"³. أمّا في الاصطلاح فهو " دلالة اللفظ على المعنى مُردِّداً"⁴، أو هو " عبارة عن الإتيان بشيءٍ مرّةً بعد أخرى"⁵. وهو تكرير الكلام أو مضمونه⁶ " حتى يفهمه من لم يفهمه، أو ليزداد الفهم له والتأثر به"⁷.

وما تجدر الإشارة إليه، في هذا السياق، هو إبراز الدور الحجاجي للتكرار، وهذا ما لفت انتباه المفسرين في تعاملهم معه هو "أنهم لم يكتفوا بتتبعه كوسيلة بها أجزاء الخطاب بعضها ببعض بل اعتنوا إضافة إلى ذلك بدلالاته⁸. وهذا ما كادت تجمع عليه الدراسات الدائرة حول الدور الذي يضطلع به أسلوب التكرار؛ إذ " يعدُّ رافداً أساسياً يرفد الحجج والبراهين التي يقدّمها المتكلم لفائدة أطروحة أو دعوى معيّنة، بمعنى أن التكرار يوفّر طاقة مضافة تحدث أثراً جليلاً في المتلقي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حمله على الإذعان"⁹.

¹ تسمّى باربرا جونستون كوتش (B.J.Koch) التكرار: إستراتيجية الإقناع بالتكرار. في: محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 234. وفي: محمد العبد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع. الجزء الرابع؛ الحجج والمراس. ص 34.

² يقول الزركشي: " إنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجّة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد، لأن الإنسان مجبول من الطبايع المختلفة، كلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا بتكرار المواعظ والقوارع". ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن. 9/3.

³ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب. مادة (كرر).

⁴ ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر. ص 334.

⁵ الجرجاني، علي بن محمد الشريف. مرجع سابق. ص 130.

⁶ الشاهد البوشنخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين. ص 174.

⁷ يروي الجاحظ في كتابه البيان والتبيين أن " ابن السّمَاك جعل يوماً يتكلم، وجارية له حيث تسمعُ كلامه، فلمّا انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنّك تُكثِرُ تردّده. قال: أرَدَدُهُ حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه. ينظر الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر: البيان والتبيين. الجزء الأول. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ص 104.

⁸ محمد خطابي: لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب. ص 177.

⁹ سامية الدريدي. مرجع سابق. ص 168.

7-يسمح التكرار المبدع بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، ويضمن انسجام النص وتوالده وتتاميه¹.

للتكرار في القرآن الكريم عدة وجوه وأشكال نذكرها فيما يلي²:

1-مرّة يكون المكرّر أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسيين.

2-وأخرى تتكرّر كلمة مع أختها لداع، بحيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها.

3-فاصلة تتكرّر في سورة واحدة على نمط واحد.

4-قصة تتكرّر في مواضع متعدّدة مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة.

يؤدي التكرار في الخطاب القرآني وظيفتين، إقناعية وإمتاعية، الإقناع

بتقرير المكرّر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين.

والإمتاع ويتعدّد فيه دور التكرار فيها- وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه

يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان³.

وبهذين الغرضين يوقّر القرآن الكريم شروط الإقناع والإمتاع، الإقناع بما

عرض من حقائق، وبسط من أدلّة، والإمتاع بما فيه من جمال فني في طرق

العرض⁴. إن الهدف من وراء هذا السرد المتكرر ليس بيان الحق فقط بل هو - إلى

إلى جانب ذلك - تعميق مجراه في القلوب تعميقاً ينفى ما طبع عليه الإنسان من

جدل وملل⁵.

- نماذج التكرار في سورة الشعراء:

¹ أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج. ص 48.

² عبد العظيم المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. الجزء الأول. ص 321.

³ عبد العظيم المطعني: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. الجزء الأول. ص 322.

⁴ بن عيسى باطاهر. مرجع سابق. ص 152.

⁵ محمد الغزالي: نظرات في القرآن. ص 128.

أدلة تاريخية¹، كل دليل حوى آية من الآيات التي تتغيًا شيئين اثنين، وهما أن الله حق وأن نبيّه حق. وغابت هذه اللازمة عن نهاية سورة الشعراء. وهذا يؤكّد أن تكرار هذه المجموعة يؤدي دورا مفصليا مهما بإزاء ما تقدّمه، وما يليه.

- وتكرار هذه اللازمة في خواتيم كل مقطع من مقاطع السورة له دور حاجي إقناعي واضح، فكما سبق بيانه أن النتيجة التي يريد أن يصل إليها الخطاب القرآني في هذه السورة هو الإيمان بالله وبأنبيائه ورسله. وقد توسّل فيها بهذه اللازمة التي كان لها دور ترسيخ وتعميق الأفكار القرآنية بعد عرض الآيات الكونية والأدلة التاريخية. و قد كان لكل مقطع حججه ونتيجته، ثم للسورة ككل حججها ونتيجتها.

إن كل واحدة من الآيات المكررة تتعلّق بما قبلها أي بالقصة من قصص الأنبياء.

فكأن تكرار الآية ينسجم مع تكرار عملية التكذيب في الواقع.

2

- المجموعة الثانية: ط د ج

ى ي ي

3

كرر قوله: ج ... ج¹، وفيه تأكيد أمرين

عندهم، أي أقوام الأنبياء، المخاطبون من قبل أنبيائهم، تقوى الله تعالى وطاعة

¹ هذه الأدلة التاريخية، هي قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ قصة موسى (ع) مع فرعون، قصة إبراهيم (ع) مع قومه، قصة نوح (ع) مع قومه، قصة هود (ع) مع قومه عاد، قصة صالح (ع) مع قومه ثمود، قصة لوط (ع) مع قومه، وقصة شعيب (ع) مع أصحاب الأيكة. - تحدّث فيه عن انفلاق البحر لموسى، نجاته، وغرق فرعون، وتلك آية من أكبر دلائل قدرته سبحانه، فهي جديرة بتسجيلها والإشارة إليها..

- وكررت تلك الآيات ست مرّات أخرى عقب كل ما يجدر أن يكون عظة يعتبر بها، كتصوير جند إبليس، وقد ككبوا في جهنم، وأخذوا يختصمون فيما بينهم، ويقررون أنهم كانوا في ضلالة وعمى، ويتمنون لو عادوا ليصلحوا ما أفسدوه، أو ليس في ذلك من العظة ما ينهي عن مثل هذا المصير.

- وكررها كذلك عقب قصة صالح ولوط وشعيب، لأن مصير أقوامهم حقيق بأن تتلقى منه العظات والعبر، وكان تلك الآية المتكررة تشير إلى مرحلة من القول، يحسن الوقوف عندها والتريث لتدبرها، وتأمّل ما تحوي من دروس تستفاد مما مضى من حوادث التاريخ.

- وخنم الآية بوصفه تعالى بالعزّة والرحمة فيه كل المناسبة للحديث عن مصير الكافر والمؤمن، فهو عزيز يعاقب الكافر، ورحيم بمن آمن. ينظر احمد احمد بدوي: من بلاغة القرآن. ص 119.

² وردت نفس الآية بتغيير اسم القوم على التوالي: عاد (قوم هود (ع))، ثمود (قوم صالح (ع))، قوم لوط (ع)، أصحاب ليكة (النبي شعيب (ع)).

³ سورة الشعراء، الآيات: [110-105]، [127-123]، [145-141]، [160-164]، [176-180].

نبيّه (أو أنبيائه)، وتقريرهما في نفوسهم،" مع تعليق كل منهما لعلّة " فجعل الأول: الأمانة (كونه أمينا) فيما بينهم وجعل علة الثاني حسم طمعه عنهم، وخلوه من الإعراض فيما يدعوهم إليه²، ونظير قولك: ألا تتقي الله في عقوبي وقد ربّيتك صغيرا؟ ألا تتقي الله في عقوبي وقد علّمتك كبيرا؟، وقدّم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن تقوى الله علة لطاعته³.

وفي هذا التكرار زيادة في التأكيد، فيكون قد افتتح دعوته بالنهاي عن ترك التقوى أو بالأحرى بالأمر بتقوى الله، ثم علّل ذلك بقوله: ڇ

ڇ ثم أعاد جملة الدعوى في آخر كلامه؛ إذا قال: ڇ... ڇ مرّة ثانية بمنزلة النتيجة للدعوة وتعليلها، والتأكيد أيضا لتوّقع الإنكار من القوم.

قوله، في الآيات السابقة، ألا تتقون إلى قوله العالمين مذكور في خمسة مواضع في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ثم كرر فائقوا الله وأطيعون في قصة نوح وهود وصالح فصار ثمانية مواضع وليس في قصة النبي ص عليه السلام لأنه رباه فرعون حيث قال ألم نريك فينا وليدا ولا في قصة إبراهيم عليه السلام لأن أباه في المخاطبين حيث يقول إذ قال لأبيه وقومه وهو رباه واستحيا موسى وإبراهيم أن يقولوا ما أسألكم عليه من وإن كانا منزهين من طلب الأجرة.

- تكرير المعنى دون اللفظ:

1- المثال الأوّل: ط ڇ ڇ⁴.

¹ سورة الشعراء، الآيات: [110-105]، [127-123]، [145-141]، [164-160]، [180-176].

² ابن الأثير، ضياء الدين. مرجع سابق. ص 336.

³ محي الدين الدرويش. مرجع سابق. ص 428.

⁴ الشعراء: 54.

وهذا تكرير لمفردتين متواليتين في ملفوظ واحد شردمة¹ وقليلون، وكان يمكن الاكتفاء بالمفردة الأولى تعبيراً عن القلّة، ولكن اتباعها بوصف قليلون لأوجه خمسة تتصافر وتتساند في اتجاه حجاجي واحد:

- الزيادة في احتقار بني إسرائيل.
- استصغار شأنهم وقيمتهم.
- 44مع وصفهم، يُعلّم أن كل ضرب وكل حزب منهم قليل.
- اختيار جمع المذكر السالم الدال على القلّة، وقد يقصد بها الذلّة لا العدد.
- وصفهم بالموصوف، وتناهيه فيه بالنسبة إلى غيره من الموصوفين².

2- المثال الثاني: ثُ طُ چُ كُ وُ چُ³.

وهذا تكرير لمفردتين متواليتين في ملفوظ واحد، كما سبق بيانه، وهما: صديق وحميم، فأما الصديق فهو "الذي يواسيك أو يسليك"⁴، وأما الحميم فهو الصديق القريب⁵. وإن كانت المفردتان لهما نفس المعنى العام، إلا أن مفردة حميم أخص من مفردة صديق؛ فإن الصديق الموصوف بهذه الصفة هو الذي يفوق القرابة، ويربو عليه، وهو أن يكون حميماً، وهو من الاهتمام، وحامة (خاصة) الأصدقاء⁶. فذكر الأعمّ ثم الأخصّ.

وفي هذا الذكر زيادة في الطاقة الحجاجية، في سياق تدعيم حجج ودعاوى الخطاب القرآني لنفي هذه الصفات عن أهل النّار وهو يتخاصمون، فلا شفعاء ولا أصدقاء مقربين .

ب-الطباق:

¹ الشردمة هي الطائفة أو الجماعة القليلة من الناس. ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، المجلد الثامن، الجزء الثامن عشر. ص 130. وينظر كذلك: الرازي، فخر الدين. مرجع سابق. ص 137.

² الرازي، فخر الدين. مرجع سابق. ص 137.

³ الشعراء: 101.

⁴ ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، المجلد الثامن، الجزء الثامن عشر. ص 155.

⁵ محي الدين درويش. مرجع سابق. ص 424.

⁶ المرجع نفسه. ص 439.

وكذلك موقف كل مخاطب يرى نفسه من طائفة المتّقين، وكل مخاطب يرى نفسه أبعد من هذه الطائفة، فيتّبع ذلك سلوك منهما بتقوى الله قبل أن تقوم الساعة.

المبحث الثالث: الآيات شبه المنطقية

إن التّفاعّل الحاصل بين مختلف الآليات اللغوية البلاغية وشبه المنطقية يسهم بشكل فعّال في تحقيق الإقناع، ومن بين الأدوات شبه منطقية الموظّفة في الخطابات الطبيعية عموماً نجد القياس؛ إذ يعدّ أسلوباً من بين ثلاثة أساليب استدلالية عرفها المتكلّمون المسلمون وبحثوها في مناظراتهم ورسائلهم¹.

¹ و هي: القياس والاستنباط والاستقراء. ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص 97.

وفيما يلي سنقدّم تعريف القياس الخطابي وخصائصه ومسلماته، ثم نقدّم نماذج من القياس في القرآن الكريم، وفي سورة الشعراء.

1. الف 14 الخطابي:

نميّز بين قياسين، قياس منطقي يقوم على الاستنتاج العلمي الصارم وقياس خطابي يقوم على الإضمار¹ والاحتمال². فالنوع الثاني من القياس يعدُّ فعالية استدلالية خطابية³ لذا سُمّي أداة شبه منطوية، فله شكل منطوي من جهة ارتباطه بالاستدلال، وهو بنية أساسية في كل خطاب حجاجي⁴ من جهة أخرى. ويعدُّ القياس، ضمن قاعدة التعميم، من بين القواعد⁵ التي بها يتمُّ بناء الاعتقاد على جملة من البيّنات⁶، والذي ينتقل بالمعتقد مما شاهده من الأشياء إلى إجراء صفاته فيما لم يشاهده، أو لا يمكن له مشاهدتها.

ويقوم القياس في الأساس على الربط بين شيئين⁷ بتوقُّر جملة من الخصائص المشتركة بينها⁸ وفق مسلمات خطابية تتمثل فيما يلي:

- **مسلمة التباسية الخطاب الطبيعي:** يمتاز الخطاب الطبيعي بتركُّب جملة من ألفاظ تحتمل تأويلات مختلفة تستجيب لأغراض التبليغ المختلفة، ويظهر هذا في أن " يطلق اللفظ الواحد على مسميات مختلفة ويدلُّ به على معان متعددة،

¹ وهو قياس ناقص الأركان، حيث تحذف إحدى مقدّماته، إذ تبنى المقدّمة المحذوفة على القولين الآخرين بشرط وجود قرينة بينهما. وقد يطرح الإشكال إذا ما حذفت المقدّمة الكبرى؛ إذ إن المخاطب - في القياس المنطوي كامل الأركان - يسلم بالمقدمة الكبرى، أما في القياس المضمّر فلا وجود لها، فهل يسلم المخاطب بتلك المقدّمة أم لا؟ الإجابة، إذن يجب عليه أن يسلم بها جدلاً لكي يتحقّق الهدف من الخطاب الحجاجي. يقول وليم برانت: " إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى كان الحجاج - إذ ذاك - سدى". ينظر: محمد العيد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع. ص 24. في: Brandt, William, The Rhetoric of Argumentation, op. Cit, p24.

² محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي. ص 71.

³ خلص علماء المسلمين إلى القول بمشروعية الأخذ بهذا القياس في تحصيل المعرفة وتبليغها وفي تحليل الخطاب اللغوي لما لهذا الخطاب من خصوصيات ومميزات لا يوفي بها الطريق الاستنباطي. ينظر طه عبد الرحمن: في أصول علم الحوار وتجديد علم الكلام. ص ص 97-98.

⁴ محمد العيد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع. ص 23.

⁵ من بين القواعد التي يتوسل بها لبناء الاعتقاد قاعدة الخير التي تجعل المعتقد يصدّق بما أخبره به غيره، لأن هذا الغير عوّده أو لعدم قيام مانع لتصدّيقه. ينظر طه عبد الرحمن: العمل الديني وتجديد العقل. ص 74. وتذكّر في هذا المقام قصة تصديق أبي بكر بن الصديق للرسول عليه الصلاة والسلام لما أسري به إلى بيت المقدس وأخرج به على السموات العلى، فصدّق خبره رغم أنه لم يشاهده، فقال كيف نصدقه في خير السماء ولا نصدقه في هذا؟!.

⁶ من بيّنات الاعتقاد: شهادة الحس، المسلمات، المنقولات بالتواتر، أو الأشياء المعلّلة بعلم مناسبة. ينظر طه عبد الرحمن: العمل الديني وتجديد العقل. ص 73.

⁷ مثال هذا الربط ما يجمع بين العلم والطعام: العلم كالطعام ينفع ويضرّ، فاطلب منه ما ينفع.

⁸ طه عبد الرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص 98.

أو بأن يكون من المتعدّر تعيينُ مسمّاه تعييننا كاملا وتحديد معناه تحديدا دقيقا
1».

- **مسألة الحوارية:** تحصل فائدة كلام بين اثنين، أو أكثر، حيث يقف أحد المتحاورين في مقام المتكلّم والآخر في مقام المستمع، بوظيفتين متداخلتين بينهما: **□ مة المعتد ووظيفة المنتقد.** وأخذا بمبدأي الاختلاف والمغايرة،" لزم أن يستند القياس على طريقة خطابية تختص بضبط هذا الاختلاف ورفع إن أمكن²، ولا يتم له ذلك إلا بالحوار.

- **مسألة حملية الخطاب:** القياس استدلال يختص بنقل صفات وقيم أعيان بعضها إلى بعض، فيكون محققا للخاصية التحويلية المميزة للطريق اللغوي في الإدراك³. الإدراك³.

- **مسألة ترتيبية الصفات:** أي أن علاقة الصفة بالموصوف لا تنتقل بين قيمة الانطباق وعدم الانطباق، بل إنها تحتل مراتب متعددة لا يكون فيها الانطباق وعدمه إلا الطرفين المتباينين الأعلى والأدنى. أي أن مبدأ الثالث المرفوع لا يصح في حق هذه العلاقة الخطابية الطبيعية⁴.

أما قواعد الاستلزام التخاطبي، فتتبنى على مبدأ عام يقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من حوارهم⁵. وهذا ما يعرف بمبدأ التعاون عند غرابيس، ومبدأ التصديق واعتبار الإخلاص والصدق عند طه عبد الرحمن، وقد سبقت الإشارة إليهما في الفصل الأول.

أما وظيفة القياس الخطابي في الخطاب الحجاجي الطبيعي فهي الانتقال مما هو مسلّم به (المقدّمات) عند المخاطب إلى ما هو مشكّل (النتيجة).

¹ المرجع نفسه. ص 99.

² المرجع نفسه. ص 100.

³ المرجع نفسه. ص 101.

⁴ طه عبد الرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص 101.

⁵ المرجع نفسه. ص 103.

خاتمة:

أُصد في ختام هذا البحث الذي بيّن منهجية الخطاب القرآني الفريدة في إقناع المتلقين كافة، إلى جملة من النتائج أقسمها إلى نتائج عامة ونتائج خاصة (مجزأة إلى نتائج خاصة بالفصل النظري ونتائج خاصة بالفصل التطبيقي) فيما يلي:

النتائج العامة:

1- يتسع الخطاب القرآني لكل الأدوات المعرفية والمنهجية مهما كان مصدرها، ومنها المقاربة الحجاجية، لكونه خطاباً يتسم بسمتين: التفاعلية والتواصلية. فإن كانت النتائج مشجعة فذاك، وإلا فإن القرآن الكريم لن ينقص منه شيء.

2- إن تعريف الخطاب القرآني لذاته قابل للتحقق منه بصورة علمية في حدود ما يمكن منه العلم باستراتيجياته وآلياته المختلفة؛ حيث تتكاتف هذه الآليات جميعاً من أجل تحقيق أهداف القرآن الكريم، التي من أهمها: تحقيق العبودية لله، ونبذ العنف والإكراه والقسر والتغليب بشتى أنواعه.

3- منهجية الخطاب القرآني في الإقناع تساعد في تحرير العقل المسلم وجعله يتطّلع إلى التواصل مع الآخر، بل والتفاعل معه إذا أحسن فهمها وتنزيلها على الواقع؛ فما يوظفه الخطاب القرآني من آليات في الإقناع تحقق مبدأ التصديق واعتبار الإخلاص والصدق، وهذا ما كان عليه علماء المسلمين في تواصلهم مع الغرب.

النتائج الخاصة:

1- توصلَ البحث إلى وضع تحديدات واضحة ودقيقة لمصطلح الإقناع في الثقافتين الغربية والعربية الإسلامية قديماً وحديثاً، لغة واصطلاحاً؛ لأن هذا المصطلح يعدُّ مركز البحث. وجاءت التعريفات في مجملها تبيّن أن:

- الإقناع عملية واعية، أي أن الباحث لديه أهدافاً واضحة يقصد إلى تحقيقها من خلال هذه العملية ذات الوجهين (اللساني/الفكري).

- الإقناع عملية تستهدف اعتقاد المتلقي قبل سلوكه، أي نقل المتلقي من حال إلى حال من خلال تغيير اعتقاداته ومواقفه وسلوكاته.

- الإقناع يتحقق من خلال خطاب واع من الباحث يستهدف العقل أو العاطفة أو هما معاً.

- يظهر نجاح عملية الإقناع في الآثار التي تترتب عليها، أي في سلوكات ومواقف المتلقي فيما بعد تلقيه للخطاب الإقناعي.

2- وقف البحث على تحديدات فارقة ودقيقة بين مصطلح الإقناع ومجموعة من المصطلحات التي تقاربه إن قليلاً أو كثيراً.

- بالنسبة لعلاقة الإقناع بالافتناع فهما وجهان لعملة واحدة، إقناع من جهة المتكلم وافتناع من جهة المخاطب، وإن كانا يفترقان في كون الافتناع هو نتيجة للإقناع، ولكنهما في النهاية يتضافران لتحقيق أهداف الخطاب القرآني.

- وبالنسبة لعلاقة الإقناع بالتأثير، فإن التأثير هو النتيجة المترتبة عن عملية الإقناع الواعية؛ لأن محل التأثير هو سلوكات ومواقف المتلقين، فيسعى الإقناع إلى إحداث هذا الأثر. ورغم علاقة المسبب (الإقناع) بالنتيجة (التأثير) إلا أنها غير ملزمة للطرفين فقد يحدث إقناع لا يمس السلوك والمواقف ويبقى على مستوى الاعتقاد، وقد يحدث تأثير دون وجود لعملية الإقناع.

- وبالنسبة لعلاقة الإقناع بالإذعان، فإن هذا الأخير هو موقف إيجابي من عملية الإقناع التي تستهدف كل الفعاليات الإدراكية الذهنية منها والحسية. ولكن يمكن أن يحدث الإذعان دون إجراء لعملية الإقناع الواعية.
- بالنسبة لعلاقة الإقناع بالتصديق، فينتقان في وجهه ويختلفان في وجه آخر، فكلاهما له وجه تبليغي في عملية التخاطب، ولكن التصديق ينفرد بالوجه التهذيبي لأنه يستهدف الدخول إلى دائرة التخلق المخلص، الذي ينشد الكمال في السلوك.
- وبالنسبة لعلاقة الإقناع بالتواصل، فيعدّ الإقناع إحدى أهم الوظائف التي يقوم عليها التواصل البشري وأحد أهدافه، وإن كان التواصل لا يتم دوماً من أجل الإقناع. يوصل الإقناع في عملية التواصل إلى مسارين اثنين: إما المحاججة أو المراوغة أو المغالطة.
- 3- توصلّ البحث إلى وضع تحديدات واضحة ودقيقة بين مصطلحي الإقناع والحجاج، فالأول مركز البحث والثاني آليته ووسيلته التي بها يكتشف وجوه الإقناع في الخطاب القرآني. وفيما يلي أهم التقاطعات بين هذين المصطلحين:
 - كل نص خطابي حجاجي هو نص إقناعي بالضرورة، والعكس غير صحيح.
 - يرتبط الإقناع بالحجاج ارتباط النص بوظيفته الجوهرية الملازمة في محيط أنواع نصية أخرى.
 - الحجاج والإقناع جزءان من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا في درجة التوكيد.
 - يستهدف الحجاج الوصول إلى تحقيق الإقناع.
- 4- وقف البحث على مفهوم الحجاج المغالط كمسار مخالف ومفارق لمسار الحجاج وما يسعى إلى تحقيقه؛ إذ يعد الحجاج المغالط عنفاً أو نوعاً من العنف الممارس على المتلقين، يسعى المطوّع من خلاله إلى إكراه المتلقين على تغيير معتقداتهم

وآرائهم وتبني معتقداته وآراءه. وهو من جهة أخرى كذب منظّم يسعى إلى تحويل الحوار المبني على قواعد التخاطب (التبليغية والتهديبية) إلى حوار عقيم من خلال اللجوء إلى جملة من الوسائل (التمويه، الدعاية، ...).

5- وقف البحث على أهم الاتجاهات التي ساهمت في وضع نظرية حديثة للحجاج؛ من البلاغة الجديدة لبرلمان إلى الحجاج في ثانيا اللغة عند ديكر، والحجاج في ثانيا التواصل لفيليب بروتون وانتهاء بنظرية المساءلة لميشال مايير.

6- توصلّ البحث إلى وضع تحديدات دقيقة وواضحة لمفهوم الخطاب وعلاقته بالنص في الثقافتين الغربية والعربية الإسلامية قديما وحديثا، فمن أهم التقاطعات والتعالقات بين الخطاب والنص:

- أن الخطاب نص في سياق، وهذا ينسجم مع توجهات الدرس التداولي في درجاته الثلاث.

- أن النص لا يتضمن ملابسات وظروف إنتاجه عكس الخطاب الذي ينطلق من موقف ينسجم مع الواقع، وإن كانت بعض الخطابات ليست كذلك.

7- توصلّ البحث إلى تحديد بنية الخطاب الإقناعي، وانطلاقا من مسأمة مفادها أن كل خطاب حجاجي كل خطاب إقناعي بالضرورة، وتتمثل هذه البنية في أن أي خطاب حجاجي إقناعي يتكوّن من: دعوى (أو نتيجة)، ومقدّمات أو تقرير المعطيات، والتبرير، والدعامة، ومؤشر الحال، والتحفظات أو الاحتياطات.

8- توصلّ البحث إلى تقديم مفهوم الخطاب القرآني، يتميز به عن سائر الخطابات البشرية. فأقل ما يميّزه توجهه إلى أصناف متعدّدة متباعدة من المخاطبين في عصور مختلفة يستهدف إرشادهم جميعا، مراعيًا تدرج معانيه الملائمة لمختلف الأفهام، على قدر الملكات والاستعدادات.

9- توصلّ البحث إلى إثبات إقناعية القرآن الكريم في خطاباته المتوجّهة إلى أصناف المخاطبين، فالقرآن خطاب بداهة، وخطاب مقنع. وما يثبت إقناعيته كثرة

مخاطباته المتوجّهة إلى مخاطبين فعليين أو محتملين، حيث نلاحظ تعدد الذوات وتداول فيما بينها وتجادلها ومحااجة بعضها بعضا.

10- وقف البحث على أهم أهداف وغايات الخطاب القرآني، لعل أهمها أنه جاء من تغيير لوضع قائم غير مرغوب فيه، ولحل معضلة ونبذ للعنف والإكراه والقسر بمختلف الوسائل اللغوية وغير اللغوية، وجاء الخطاب القرآني استجابة لسؤال الأمة.

11- وقف البحث على قواعد التخاطب التي صاغها باحثون غربيون وبدلها في الثقافة العربية الإسلامية؛ حيث وضعت نماذج مختلفة هدفها تحقيق نجاعة ونجاح أي خطاب، فمن مبدأ التعاون الغرايسي المنتقد في اقتصاره على الجانب التبليغي وإهماله للجانب التهذيبي التأديبي، ومبدأ التأدب عند لاكوف المنتقد في اقتصار تهذيبه على الجانب التجريدي وإهماله للجانب العملي. ومبدأ التواجه واعتبار العمل (بمفهوميه: مفهوم الوجه ومفهوم التهديد) لبراون وليفنسن المنتقد في جعله للتهديد في الدخول في أي عملية تخاطبية رغم أن التهذيب أوسع من ذلك بكثير. ومبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقرب لصاحبه ليش المنتقد في ميله إلى التظاهر وتحصيل الأغراض. أما البديل في الثقافة العربية الإسلامية فهو مبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص، فهو يجمع جانبي عملية التخاطب: التبليغ والتهذيب.

أسفر تحليل الشواهد والأمثلة بالاعتماد على الآليات الإجرائية للحجاج على

النتائج الآتية:

1- يعدّ المفعول لأجله من ألفاظ التعليل التي تستعمل لأجل تبرير الحجج وتعليلها والشاهد الوحيد الذي ورد في سورة الشعراء كان موجّهاً للنبي (عليه الصلاة والسلام) لإعلامه بالنتيجة التي ستؤول إليها دعوته مع فئة من المخاطبين، وهي فئة الكفار. أنها لن تؤمن مهما فعلت، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

2- الوصف آلية لغوية فعّالة في توجيه الخطاب القرآني إلى درجة سَلْمية معيّنة في السَلْم الحجاجي باختلاف الوصف قوّة أو ضعفاً.

3- يساهم ترابط منطوقات فعل الحجاج في الدفاع عن الدعوى المعروضة على المتلقين، وهذا ما يتجلّى في الشواهد الواردة في سورة الشعراء؛ إذ إن تدرُّج موسى

(عليه السلام) في تقديم حججه: (ح1) الله ربّ السموات والأرض وما بينهما، (ح2) الله رب آباءكم الأولين. (ح3) الله رب المشرق والمغرب وما بينهما. للوصول إلى نتيجة واحدة وهي: الدعوة إلى الإيمان بالله وحده.

4- تساهم الروابط الحجاجية إما في تساوق الحجج وتعاونها لتحقيق نتيجة واحدة، وإما تتعاند وتتعارض فيما بينها لكي تحقق كل منها النتيجة التي تريد الوصول إليها. وفي سورة الشعراء غلبت الروابط المتساوقة (كالواو، حتى) فساهمت في تقوية الخطاب القرآني وتوجيهه نحو تحقيق الهدف منه وهو الإيمان بالله وحده. أما الرابط الوحيد الذي جاء لتدعيم الحجج المتعاندة فهو الرابط الحجاجي (بل)، وفي شاهد وحيد في سياق دفاع فئة الكفار عن نفسها باتباعها ما وجدت عليها آباءها في مسألة العبادة.

5- تهدف العوامل الحجاجية إلى تقييد الإمكانيات الحجاجية للقول وحصرها، وقد ورد في سورة الشعراء عاملان حجاجيان ((م...إلا)، إنما) في سياق محاولة الكفار التقليل من شأن الأنبياء والمرسلين، فحاولوا إضعاف حججهم باستعمالهم لهاذين العاملين الحجاجيين. وفي جميع الشواهد المحلّة استعمل المخاطبون من طرف الأنبياء العوامل الحجاجية لنفي النبوة بشتى الوسائل؛ بسبب الكينونة البشرية، اتهام بالسحر.

- للتشبيه له فاعليته بارزة في عملية الإقناع. وقد جاء التشبيه الوارد في سورة الشعراء محذوف الوجه، حيث التماثل التام بين طرفي التشبيه لتأكيد الصلة بينهما، لإبقاء الباب مفتوحاً أمام مختلف التفسيرات والتأويلات لإيجاد وجه الشبه المشبه والمشبه به. وقد سبق الخبر مقروناً بالحجة، ليلقى قبولا واستجابة من المخاطبين.

7- الاستعارة في الخطاب القرآني حجاجية؛ لأنها تنقل المتلقي من الحالة الحسية إلى الحالة المعنوية وفي هذا تدرج في الحجج من أجل تحقيق الاقتناع لديه. وفي سورة الشعراء وردت أمثلة عديدة للاستعارة، منها ما ورد في سياق تربية الله لنبيه كيفية التعامل مع أصحابه بخفض الجناح والرفق بهم. ومنها ما ورد في سياق إنكار

مسار بعض الشعراء، فجاء تمثيلهم بالتائه في الصحراء لإقناع المخاطبين أن الشعر ليس محرماً وإنما الإفراط في المدح والذم وما على ذلك بغير حق هو المنكر فيه.

8- للتكرار في القرآن له فائدة كبيرة؛ لأنه يوقر طاقة مضافة في الخطاب تحدث أثراً جليلاً في المتلقي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه وتحويل المكرر إلى معتقد لديه. وقد ورد في سورة الشعراء قسماً التكرار: تكرار اللفظ والمعنى وتكرار المعنى دون اللفظ. وقد وردت لازمتان في هذه السورة في بداية ونهاية كل قصة من قصص الأنبياء، وفي كل تكرار تأكيد لعملية الكذب المنظم التي يقوم بها المخاطبون من طرف الأنبياء.

9- يربط القياس الخطابي، هذه الفعالية الخطابية الاستدلالية، بين شيئين يشتركان في بعض الخصائص وفق مسلمات خطابية. وقد جاءت كل الأقيسة الخطابية في سورة الشعراء مضمرة مقتضبة، وهذا ما ينسجم مع الخطاب القرآني الذي يقوم على الإيجاز والإضمار والحذف. وكل الأمثلة التي قام البحث بتحليلها تدور حول موضوع واحد هو موضوع التوحيد. نفي الألوهية عن البشر بنفي النفع والضرر عنهم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

❖ القرآن الكريم برواية حفص. مكتبة ومطبعة الشريجي، دمشق. الطبعة الأولى، 1416هـ.

ثانياً: المراجع:

أ- المراجع العربية المؤلفة

1. الأمدي، علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام. دار الكتب العلمية، بيروت. الجزء الأول. د. . 1980.
2. ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر، تقديم وتعليق احمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة. د. . ت.
3. احمد احمد بدوي: من بلاغة القرآن. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. مارس، 2005م.
4. احمد عبد السيد الصاوي: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين؛ دراسة تاريخية فنية. منشأة المعارف، الاسكندرية. 1988.
5. احمد المتوكّل: الخطاب وخصائص اللغة العربية؛ دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. منشورات الاختلاف، الجزائر. الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.
6. الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية؛ نحو رؤية جديدة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت. الطبعة الأولى، أيلول/سبتمبر، 1992.
7. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م.

8. أبو بكر العزاوي:

- ❖ اللغة والحجاج. دار الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء. الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م.
- ❖ الخطاب والحجاج. دار الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء. الطبعة الأولى، 1427هـ/2007م.
9. **بكري شيخ أمين**: البلاغة العربية في ثوبها الجديد؛ علم المعاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 1979م.
10. **التهانوي، محمد علي**: كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. الطبعة الأولى، 1996م.
11. **الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر**: البيان والتبيين. الجزء الأول. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة السابعة، 1418هـ/1998م.
12. **الجرجاني، علي بن محمد الشريف**: التعريفات، تحقيق وزيادة محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.
13. **جميل صليبا**: معجم الفلسفة. الجزء الأول. دار الكتاب اللبناني، بيروت. 1982م.
14. **جميل عبد المجيد**:
- ❖ البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م.
- ❖ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. طبعة 1998.
15. **حسان الباهي**: اللغة والمنطق؛ بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2000م.
16. **حميد لحميداني**: القراءة وتوليد الدلالة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. الطبعة الأولى، 2003م.

17. **الخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد إبراهيم:** بيان إعجاز القرآن. رسالة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام. دار المعارف، مصر. الطبعة الثالثة، د.ت.
18. **خليفة بوجادي:** في اللسانيات التداولية؛ مع محاولة تأصيلية في درس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.
19. **خولة طالب الإبراهيمي:** مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، الجزائر، الطبعة الثانية، 2006م.
20. **الخوارزمي، محمد احمد بن يوسف:** مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الثانية، 1409هـ/1989م.
21. **الرازي، فخر الدين:** التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. المجلد التاسع. الجزء الرابع والعشرون. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م.
22. **ابن رشد، أبو الوليد احمد بن محمد:** فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الثالثة، 1986م.
23. **رشيد الرازي:** الحجاج والمغالطة؛ من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، كانون الثاني/ جانفي، 2010م.
24. **الرمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى:** النكت في إعجاز القرآن. رسالة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام. دار المعارف، مصر. الطبعة الثالثة، د.ت.
25. **الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله:** البرهان في علوم القرآن، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة، بيروت. طبعة ثانية منقحة ومحرورة. د.ت.

26. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر. مراجعة الطبع: شعبان محمد إسماعيل. دار المصحف، القاهرة. د. ت.
27. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم؛ من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه. عالم الكتب الحديث، إريد. جدارا للكتاب العالمي، عمّان. الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م.
28. سعد كمّوني: الخطاب القرآني؛ القرآن مرجعية للخطاب النهضوي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. الطبعة الأولى، 2008م.
29. سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية. دار الفكر. بيروت. د. ت.
30. سعيد بنكراد: الصورة الإشهارية؛ آليات الإقناع والدلالة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. الطبعة الأولى، 2009.
31. السعيد بوطاجين: الترجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.
32. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.
33. عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير؛ مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشر. الدار البيضاء، المغرب، 2006 ص 126.
34. سليمان عشراتي: الخطاب القرآني؛ مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة 1998.
35. السيد علوي بن احمد السقاف: الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية من المسائل والضوابط والقواعد الكلية. مصطفى البابي الحلبي. مصر. الطبعة الأخيرة. ص 62.

36. سهيل □ : المنهل؛ قاموس فرنسي - عربي. دار الآداب، بيروت. الطبعة الثالثة والعشرون، 1999.
37. سيد قطب: في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة. الطبعة الشرعية السادسة عشرة، 1410هـ/1990م
38. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهري في علوم اللغة، شرح وضبط وتصحيح وعنونة للمواضيع وتعليق: محمد احمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي. منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت. 1408هـ/1987م.
39. الشاهد البوشيخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين. دار القلم للنشر والتوزيع. الكويت. الطبعة الثانية، 1415هـ/1995.
40. شكري عزيز ماضي: من إشكاليات النقد العربي الجديد. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. ط.1. 1997.
41. صابر الحباشنة: التداولية والحجاج؛ مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2008م.
42. طه عبد الرحمن:
- ❖ تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2005.
 - ❖ روح الحداثة؛ المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. الطبعة الأولى، 2006.
 - ❖ سؤال الأخلاق؛ مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. الطبعة الأولى، 2000.
 - ❖ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 2007م.
 - ❖ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت. الطبعة الثانية، 2006.

43. **طه عبد الله محمد السبعواوي**: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.
44. **ابن عاشور، محمد الطاهر**:
 ❖ تفسير التحرير والتتوير، الجزء الثامن عشر. الدار التونسية للنشر، تونس. د. ت.
 ❖ تفسير التحرير والتتوير. المجلد الجزء التاسع عشر. الدار التونسية للنشر. تونس. د. ت.
45. **عباس حسن**:
 ❖ النحو الوافي، الجزء الثاني. دار المعارف، القاهرة. الطبعة الثالثة، د. ت.
 ❖ النحو الوافي. الجزء الثالث. دار المعارف. القاهرة. الطبعة الثالثة، د. ت.
46. **عبد العزيز بن صالح العمار**: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن؛ دراسة بلاغية تحليلية. المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. دبي. الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م.
47. **عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني**:
 ❖ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. الجزء الأول. مكتبة وهبة، القاهرة. الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.
 ❖ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. الجزء الثاني. مكتبة وهبة، القاهرة. الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.
48. **العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم**: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز. الجزء الثاني. مطبعة المقتطف، مصر. 1914م.
49. **علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي**: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي. دار الأمل، إربد، الأردن. الطبعة الثانية، 1414هـ/1993م.

50. **علي الشبعان**: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل؛ بحث في الأشكال والاستراتيجيات. دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا. الطبعة الأولى، آذار/ مارس، 2010.
51. **عمر بلخير**: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. منشورات الاختلاف، الجزائر. الطبعة الأولى، 2003م.
52. **ابن عيسى باطاهر**: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م.
53. **ابن فارس**: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1389هـ/1969م.
54. **فاضل صالح السامرائي**: التعبير القرآني. دار عمار، عمّان. الطبعة الرابعة، 1427هـ/2006م.
55. **فضل حسن عباس**: البلاغة فنونها وأفنانها؛ علم المعاني. دار الفرقان، إربد، الأردن. الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م.
56. **الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب**: القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. إشراف مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر، بيروت. 1425هـ/2005م.
57. **عبد القادر حسين**: فن البديع. دار الشروق، القاهرة. الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م.
58. **القرطاجني، حازم**: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب بلخوجة. دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثانية، 1981م.
59. **الكفوي، أبو البقاء**: الكليات؛ معجم في المصطلحات والفرق اللغوية. أعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م.
60. **عبد الله صولة**: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الجزء الأول، منشورات جامعة منوبة، تونس، طبعة 2001م.

61. **مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوجيز**. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة. طبعة 1993.
62. **مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الفلسفي**. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة. 1403هـ/ 1983م.
63. **محمد احمد خلف الله: مفاهيم قرآنية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 79 يوليو 1984.**
64. **محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.**
65. **محمد حسن حسن جبل: وثيقة نقل النص القرآني من رسول الله (ص) إلى أمته. دار الصحابة للتراث، طنطا. أكتوبر 2001م.**
66. **محمد خطّابي: لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. الدار البيضاء، 1991م.**
67. **محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن. دار الفكر العربي، بيروت. د. د. ت.**
68. **محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة؛ بحث في بلاغة النقد المعاصر. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، حزيران/ يونيو. 2008.**
69. **محمد ظاهر :: الخطابة في صدر الإسلام. الجزء الأول. دار المعارف، القاهرة. الطبعة الثانية، 2007م.**
70. **محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأ في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، تموز/ يوليو، 2007.**
71. **محمد العبد: النص والخطاب والاتصال. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر. الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.**

72. **محمد العمري**: في بلاغة الخطاب الإقناعي؛ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطاب العربية. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء. الطبعة الثانية، 2002 م.
73. **محمد عناني**: المصطلحات الأدبية الحديثة؛ دراسة ومعجم إنجليزي عربي. الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة. الطبعة الثالثة، 2003 م.
74. **محمد الغزالي**: نظرات في القرآن. نهضة مصر، القاهرة. طبعة جديدة منقحة ومراجعة. الطبعة السادسة، يوليو 2005 م.
75. **محمد أبو القاسم □ حمد**: منهجية القرآن المعرفية؛ أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. الطبعة الأولى، 1424 هـ / 2003 م.
76. **محمد كرم الكواز**: البلاغة والنقد؛ المصطلح والنشأة والتجديد. مؤسسة الانتشار العربي، بيروت. الطبعة الأولى، 2006 م.
77. **محمد محمد أبو شهبه**: المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1407 هـ / 1987 م.
78. **محمد محمد يونس علي**: المعنى وظلال المعنى؛ أنظمة الدلالة في العربية. دار المدار الإسلامي، بيروت. الطبعة الثانية، آذار / مارس، 2007 م.
79. **محمد مفتاح**: التلقي والتأويل؛ مقارنة نسقية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. الطبعة الأولى، 1994.
80. **محي الدين الدرويش**: إعراب القرآن الكريم وبيانه، المجلد الخامس. دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق. الطبعة السابعة، 1420 هـ / 1999 م.
81. **المرادي، الحسن بن قاسم**: الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1413 هـ / 1992 م.

82. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. دار التنوير، الجزائر. الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.
83. ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط. دار لسان العرب، بيروت. .:
84. ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. الطبعة الثالثة، 2002م.
85. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد التاسع، سبتمبر، 1978.
86. النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل: إعراب القرآن. تحقيق زهير غازي زاهد. الجزء الثالث. دار عالم الكتب، بيروت. الطبعة الثانية، 1405هـ/1985م.
87. نوري سعودي أبو : في تداولية الخطاب الأدبي؛ المبادئ والإجراء. بيت الحكمة، العلمة، الجزائر. الطبعة الأولى، 2009م.
88. عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، آذار/مارس، 2004م.
89. أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين. تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي، القاهرة. الطبعة الثانية، د.ت.
90. عبد الو د حسن الشيخ: البديع والتوازي. مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية. الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م.
- ب- المراجع المترجمة:

1. آن رويول وجاك موشلار: التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، تموز (يوليو) 2003.

2. أرسطو طاليس: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات، الكويت. دار القلم، بيروت. طبعة 1979م.
3. أندريه لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية. المجلد الأول (A-G). تعريب خليل احمد خليل. منشورات عويدات، بيروت- باريس. الطبعة الثانية، 2001م.
4. أوركيوني: : القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء. طبعة 2007م.
5. باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب؛ عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة احمد الودرني. دار الكتاب الجديد، طرابلس الغرب. بيروت. الطبعة الأولى، حزيران/يونيو/ الصيف 2009 إفرنجي.
6. باتريك شارودو ودومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود. دار سيناترا، تونس. طبعة 2008م.
7. توشيهيكو إيزوتسو: الله والإنسان في القرآن؛ علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة وتقديم هلال محمد الجهاد. مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت. الطبعة الأولى، آذار / مارس، 2007م.
8. جورج لايكوف، مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة. دار توبقال للنشر. المغرب. الطبعة الثانية، 2009م.
9. دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن. منشورات الاختلاف، الجزائر. الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م.
10. هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية؛ نحو نموذج سيميائي لتحليل النصوص. ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثانية، 1999م.
11. فرانسواز أرمنكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، د. د.ت.
12. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، الطبعة الأولى، 2007.

ثالثاً: المقالات

أ- المقالات العربية المؤلفة:

1. إدريس حمادي: الحجّة في الاستعمال القرآني؛ إبراهيم وقومه نموذجاً. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.

2. إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه: اللسانيات والحجاج؛ الحجاج المغالط: نحو مقارنة لسانية وظيفية. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثالث؛ الحجاج وحوار التخصصات. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.

3. أبو بكر العزاوي:

❖ الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

❖ الحجاج في اللغة. الجزء الأول؛ الحجاج: حدود وتعريفات. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.

4. بنعيسى أزيبيط: البعد التداولي في الحجاج اللساني (استثمار التداولية المدمجة)؛ مناظرة متى بن يونس وأبي سعيد السيرافي نموذجاً. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.

5. **حاتم عبيد**: الباتوس: من الخطابة إلى تحليل الخطاب؛ من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
6. **حافظ إسماعيلي علوي**: التقديم. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الأول: حدود وتعريفات. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
7. **حبيب أعراب**: الحجاج والاستدلال الحجاجي؛ عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، المجلد الثلاثون، العدد 1 يوليو-سبتمبر، 2001.
8. **حسن المودن**: حجاجية المجاز والاستعارة. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثالث؛ الحجاج وحوار التخصصات. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
9. **حمو النقاري**: حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه؛ مفهوم الموضوع. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثالث: الحجاج وحوار التخصصات. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
10. **عبد الرزاق بنور**: الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثاني: الحجاج مدارس وأعلام. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.

11. **رشيد الراضي**: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الثاني: الحجاج مدارس وأعلام. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

12. **شكري المبخوت**:

❖ تحليل حجاجي لظاهرة بديعية. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

❖ نظرية الحجاج في اللغة. مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف حمّادي صمود. منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998.

13. **صابر الحباشة**: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص؛ حجاجية المفردة القرآنية نموذجاً. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

14. **عبد العزيز السراج**: التواصل والحجاج (أية علاقة؟). مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الأول؛ الحجاج: حدود وتعريفات. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.

15. **عبد الله صولة**: الحجاج : أطره ومنطقاته من خلال "مصنّف في الحجاج -الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه. ضمن كتاب أهم نظريات

- الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998.
16. **عمر أوكان: اللغة والخطاب.** دار رؤية، القاهرة. الطبعة الأولى، 2011م.
17. **محمد الداوي: التواصل بين الإقناع والتطويع.** مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الأول؛ الحجاج : حدود وتعريفات. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
18. **محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة.** مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت. مج 28، عدد يناير - مارس 2000.
19. **محمد العبد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع.** مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الرابع؛ الحجاج والمراس. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
20. **محمد العمري: المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي.** مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، فاس. العدد الخامس، خريف-شتاء، 1991.
21. **محمد علي القارصي: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة** لميشال ميار. مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف حمادي صمود.
22. **محمد الولي: الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان.** مجلة علامات في النقد. د. ت.

23. نبيل موميد: حد الخطاب بين النسقية والوظيفية. مجلة علامات، العدد 89. ماي 2007.

24. عبد الهادي بن ظافر الشهري: آليات الحجاج وأدواته. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الأول: حدود وتعريفات. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.

25. هشام الريفى: الحجاج عند أرسطو. ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم، إشراف حمادي صمود. منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس. 1998.

ب- المقالات المترجمة:

1. أوليفي روبول: "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟" ترجمة محمد العمري. مجلة علامات في النقد، المغرب. ديسمبر 1996.

2. جانري: نظرية المحاجة؛ اكتشاف جديد خصب، ترجمة محمد يحياتن، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 11 محرم 1418هـ، ماي 1997م.

3. شايبم بيرلمان: التمثيل والاستعارة في العلم والشعر والفلسفة، ترجمة حمو النقاري. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس: نصوص مترجمة. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

4. فان إيمرين وروب غروتندورست: الحجاج لغوي مرگب، ترجمة ياسين ساوير المنصوري. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس: نصوص مترجمة. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

5. ليونيل بلنجر:

- ❖ الآليات الحجاجية للتواصل، ترجمة عبد الرفيق بوركي. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس: نصوص مترجمة. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.
- ❖ عدّة الأدوات الإجرائية، ترجمة قوتال فضيلة. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس: نصوص مترجمة. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
6. ميشال مايير: اللغة والمنطق والحجاج؛ اللغة والسياق، تقديم وترجمة محمد أسيداه. مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. الجزء الخامس؛ نصوص مترجمة. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. الطبعة الأولى. 1431هـ/2010م.
7. هرمان باري: الخطاب، ترجمة محمد أسيداه. مجلة نوافذ، النادي الأدبي الثقافي، العدد الرابع والثلاثون، ذو القعدة 1426هـ/ ديسمبر 2005.
- رابعا- الرسائل الجامعية:
1. ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة؛ دراسة تداولية. أطروحة دكتوراه، مخطوطة. جامعة باتنة. 2009-2010م.
2. زهر إسماعيلي: الخطاب القرآني في سورة الشعراء؛ دراسة في النسيج اللغوي والدلالي. مذكرة ماجستير. مخطوطة. جامعة أم البواقي. 2008-2009م.
3. هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي وأنواعه وخصائصه؛ دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي. مذكرة ماجستير، مخطوطة. جامعة ورقلة. 2002-2003م.

4. هشام فرّوم: تجليات الحجاج في الخطاب النبوي؛ دراسة في وسائل الإقناع: الأربعون النووية أنموذجاً. مذكرة ماجستير، مخطوطة. جامعة باتنة. 2008-2009م.

خامساً - المراجع الأجنبية:

1. Douglas Walton: Fundamentals of Critical Argumentation. cambridge university press. 2006.
2. Grand Larousse Encyclopedique, Libraire Larousse-France.
3. Le petit Robert, sous la direction de : josette rey debove et alain rey, 2001.
4. Jean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique. Larousse, Paris.
5. KEVIN HOGAN, JAMES SPEAKMAN : COVERT PERSUASION; Psychological Tactics and Tricks to Win the Game. Published by John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey. 2006.
6. Philippe Breton: L'argumentation dans la communication. Collection Repères. 3eme éditions. 2003.

سادساً - كتب إلكترونية ومواقع الإنترنت:

1. أبو الزهراء: دروس الحجاج الفلسفي، Powered by PHILOMARTIL.com copyright © 2008
2. إبراهيم بن صالح الحميدان: الإقناع والتأثير؛ دراسة تأصيلية دعوية، مجلة جامعة الإمام، العدد 49 محرم 1426هـ.
3. جان سارفوني: الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 1998.
4. الحسن بن قاسم المرادي: الجني الداني في حروف المعاني. موقع مكتبة المصطفى الإلكترونية.

5. زاهي طلعت قبيلة: لوديكسيونير قاموس فرنسي - فرنسي - عربي، Le Dictionnaire Français -Français -Arabe -برمجة وتصميم إلكتروني محمد وفيق حبلي. دار الراتب الجامعية، 1999.
6. سليمان عشارتي: المعنى القرآني في رسائل النور للنورسي. 2008م.
7. برنامج مهارات الإقناع والتأثير مقدم إلى المركز العربي للتدريب والتأهيل - المملكة العربية السعودية. تقديم د. أيوب خالد الأيوب. Web Site: 2003/9/30م. معهد الأيوب الدولي - دولة الكويت-2003م. www.aljumana.net
8. DVD Encyclopédia Universalis, Multimedia 2010.

محتو الفهرس	
أ- و	مقدّمة
13-2	مدخ : التداولية والحجاج
8-2	التداولية أولاً: كمصطلح
9	ثانياً : أسباب ظهورها
13-9	ثالثاً: أهم قضاياها
10	1- أفعال الكلام
13-11	2- الحجاج
96-15	الفصل النظري: الإقناع والخطاب القرآني
61-15	المبحث الأول: الإقناع، مفهومه، علاقته بالحجاج
33-15	1- مفهوم الإقناع
43-34	2- علاقة الإقناع بمجموعة من المصطلحات
47-44	3- الإقناع والحجاج
52-48	4- الحجاج المغالط
61-52	5- اتجاهات نظرية الحجاج عند الغربيين
96-62	المبحث الثاني: الخطاب القرآني، مفهومه، علاقته بالحجاج
73-62	1- مفهوم الخطاب
75-73	2- بنية الخطاب الإقناعي
80-76	3- مفهوم الخطاب القرآني
86-80	4- إقناعية الخطاب القرآني

96-86	5- قواعد الخطاب
154 - 98	الفصل التطبيقي: آليات الإقناع في سورة الشعراء
128-100	المبحث الأول: الآليات اللغوية
102-100	1- أفاظ التعليل
109-102	2- الوصف
113-109	3- الأفعال الكلامية
124-114	4- الروابط الحجاجية
128-125	5-العوامل الحجاجية
149-129	المبحث الثاني: الآليات البلاغية
133-129	1- التشبيه
137-133	2- الاستعارة
149-138	3- البديع
154-150	المبحث الثالث: الآليات شبه المنطقية
154-150	1- القياس الخطابي
162-156	خاتمة
182-164	قائمة المصادر والمراجع
185-184	الفهرس